

رواية

رحلة الصعود والهبوط

سعيد سالم

-1-

- سأل أباه في حيرة:
- لماذا ماتت أمي؟
 - نظر الأب في إشفاق الى سنوات ابنه الخضراء وقال:
 - لاحول ولا قوة الا بالله. عمرها انتهى يا حلمي. هذا أمر الله. كل واحد منا سوف يموت في يوم من الأيام.
 - لكنها لم تكن مريضة!
 - ليس بالضرورة أن يموت الانسان من المرض. لكل أجل كتاب
 - ما معنى الأجل؟
 - اصطحبه وأخاه رشوان وأخته هدى الى شقة جارتهم الأرملة حسنية. كانت هدى تبكي ، أما رشوان فكان صامتا كشأنه منذ وفاة أمه.
 - تحملينا قليلا ياست حسنية حتى أدبر أموري
 - أنت وأولادك على رأسى. المرحومة كانت صاحبة أفضال على
 - ترك رشوان وهدى فى رعايتها واصطحب معه حلمي الى قصر طاهر بك. فى الطريق حذره بجدية ولكن فى لطف:
 - أنت ولد عاقل ومهذب. لاتفتح فمك بكلمة فى العربية
 - عند باب الحديقة أوقف العربية وأمره بالنزول لمصافحة ثريا هانم. كان حلمي غارقا فى تأمل أعمدة القصر الاسطوانية الخمسة ذات الطراز الفرعونى التى تنتهى بزهرة اللوتس. بعث منظر الأعمدة الضخمة الحاملة للقصر فى نفس حلمي خليطا من الاحساس بالجمال والرهبة، حتى أن هذه الأعمدة لم تفارق أحلامه فيما بعد وياتت تطارده فى كوابيس لاتنقطع ، يتخللها نباح الكلب الكبير المخيف الذى كان يتقاذف بجوار ثريا هانم فيثير رعبه ويتمنى لو لم يأت مع أبيه الى هذا المكان الكريه الذى يطلقون عليه حى السفارات ، والذى يعتبر من أرقى أحياء الاسكندرية. لم يكن الصبى الصغير يستشعر أى مرارة نتيجة مقارنته لهذا المكان المهيب بالببيت الصغير الذى يسكنه بمواجهة البحر مباشرة فى حى رأس التين الشعبى، والذى تشببه كل البيوت الأخرى ، حيث لا حدائق ولا أعمدة ولا كلاب. كان يحب بيته كثيرا.
 - ايه ده يا زيدان؟!
 - ابنى حلمي يفندم. تعال يا ولد سلم على الهانم
 - انفجرت غاضبة:
 - ولم يسلم على؟..وكيف تحضره معك وأنت قادم لتوصيلى الى حيث أريد؟.. اصرفه حالا ولا تفعل ذلك مرة أخرى.
 - كانت قسوتها عليهما مؤلمة. تعذب حلمي كثيرا لرؤية والده وهو فى حيرة من أمره. جذبته برفق من ذراعه متجها الى "الجنائى" مستنجدا به.
 - اعمل معروفيا مفيد. ابق حلمي معك حتى أوصل الهانم وأعود لأخذه منك.
 - رد عليه بجفاء:
 - الشغل شغل يازيدان. ما كان يجب أن تحضره معك.
 - كان ينظر بطرف عينه الى الهانم ليتأكد من إدراكها لانحيازها الى جانبها. رأى حلمي الذل فى عيني أبيه وهو حائر أمام ندالة مفيد ، متوسلا الى الهانم:
 - بعد اذن سيادتك يهانم دقيقتين. سأتركه عند سليمان حارس الفيلا المجاورة.
 - لا شأن لى.خلصنى. أنا مستعجلة..وليكن فى علمك أنى سأبلغ طاهر بك أن يخصم يومين من راتبك .
 - رأى العرق يتساقط من جبين أبيه الى عينيه فى ذروة الشتاء. ربما كانت دموعا وليست عرقا، وربما كانت دموعا مختلطة بالعرق. هو لا يذكر جيدا فقد مضت سنوات على هذه الواقعة. قال لأبيه وهو على وشك البكاء وعيناه على وجه ثريا العابس:

- أنا خائف من هؤلاء الناس يا أبى
- انتزع زيدان ابتسامه ليخفى عنه ارتياكه وقال له:
- لا تخف يا حلمى. اجر معى الى عم سليمان
- كان يرتعش وهو يخاطب سليمان لاهثا:
- ولو فيها رذالة، ممكن تاخذ عندك حلمى لحد ما أرجع؟
- تأمرنى يا عم زيدان. هو معى فى الحفظ والصون. توكل انت على الله. ربنا معك يا اسطى
- كتر خيرك يا رجل يا طيب. لاتخف يا حلمى. لن أتأخر عليك
- ربت سليمان على ظهر حلمى. لاطفه وقدم له قطعة من الحلوى. حين استعاد حلمى طمأنينته بعيدا عن هذه المرأة سأله ببراعة:
- ثريا هانم عندها فلوس كتير؟
- طبعا يابنى. لكن لم السؤال؟
- لأنى كنت أريد أن أفهم لماذا تشخط فى أبى
- يابنى بكرة تعرف. كلها أرزاق ربك مقسمها بمعرفته

- لم يكن هناك بديل أمام زيدان عن الزواج من حسنية. هو وعياله بحاجة الى امرأة ، وهى وعيالها بحاجة الى رجل. رحبت حسنية بعرض زيدان رغم أنه يكبرها بحوالى عشرين عاما. قال لها:
- صدقيني يا حسنية. أنا وأنت سنكسب ثوابا فى هذه الزيجة. خلنا نربى هؤلاء العيال اليتامى
 - وأنا أتشرف بك يا عم زيدان . أولادك هم أولادى
 - غمرت حسنية الأطفال الثلاثة بحبها. عاملتهم كما تعامل أبناءها. ذابوا جميعا فى بعضهم البعض حتى أصبحوا أسرة واحدة.
 - أكثر ما أسعد حلمى بهذه الزيجة تأكده من أنه لن يرى ثريا هانم مرة أخرى ، لكن سؤاله لعم سليمان ظل عالقا بذهنه فكرره على أبيه:
 - لم نحن فقراء يا أبى ، بينما طاهر بك وثرى هانم أغنياء؟
 - ربنا خلقنا درجات وله حكمة فى ذلك
 - كان من المستحيل أن يفهم حلمى هذه الحكمة ، بل وربما زيدان نفسه. قال لأبيه مغتاظا:
 - لو كنت مكانك لتركنت لها العربية لتبحث عن سائق آخر غيرك
 - وأبقى بلا عمل؟..ومن أين نأكل؟
 - من المؤكد أن الذى خلقنا درجات هو الذى سيرزقك بعمل آخر
 - ياه!!..الى متى ستنظل هذه الواقعة راقدة فى أعماقك يا حلمى؟!..تعلم أن تنسى يا حبيبى. النسيان نعمة، وليكن قلبك كبيرا.

-2-

عاوده المشهد نفسه بتفاصيله الأليمة ، مجسما بالصوت والصورة بعد سنوات طويلة ، حين دخل حلمى بوفيه الكلية فى فترة استراحة بين المحاضرات ليشرّب كوبا من الشاي. لم يكن بجيبه أكثر من ثمن المشروب. فوجيء بتوفيق الشريف يستقبله بابتسامة ساخرة وهو جالس وسط شلة الطلبة والطالبات الأغنياء ، ومن بينهم الزميلة الرقيقة داليا. لا يجد حلمى تفسيراً منطقياً لعداء توفيق له غير تفوقه فى الدراسة وخيبة توفيق فيها. قال بنبرات شرييرة موجها كلامه للجميع، متعمدا جرح كرامة حلمى:

- يا جماعة النهارده كلنا معزومين على حساب حلمى لاحظت داليا ارتباك حلمى لوقوعه فى ورطة من صنع لزوجته توفيق وسوء دوافعه النفسية. سارعت بالقول:

- كل واحد يدفع حسابه كما اتفقنا من قبل.

انتشلتها داليا من قاع الذل الى فضاء الكرامة الريح وكأنها أدركت حاله بفطرتها. كان صوت ثريا هانم المعدنى يرن فى أذنه وهى تصيح زاعقة فى وجه أبيه بغير مراعاة لكبر سنه وطول خدمته لأسرتها ، بينما ينبج الكلب المخيف نباحه بلا توقف.

رغم شعور حلمى بالألم الشديد لفقره الذى يجعله عاجزا عن التعامل بندية مع زملائه من أبناء الأغنياء ، الا أن هناك شعورا آخر خفيا – وإن كان قويا – يداخله بأن هذا الوضع لن يستمر معه الى الأبد ، لا لشيء الا لسبب واحد يثق فيه كل الثقة ، وهو أنه لن يسمح له أبدا بالاستمرار.

يصر توفيق على إحراجه:

- مادام حلمى بخيلا فسأدفع أنا الحساب للجميع وتصبر داليا على موقفها:

- ماعداى يا توفيق. لاتدفع حسابى من فضلك. سأدفعه أنا

فى المساء فضفض بأحزانه لأمه حسنية. قال لها انه احتاط لخبث توفيق – قبل أن تحسم داليا الموقف - بادعائه أنه ذاهب الى دورة المياه ، لكنه انتحى جانبا بعيدا بعم صبحى عامل البوفيه مدعيا انه نسي حافظته بالبيت واقترض منه مبلغا يكفى لإنقاذ الموقف ، ثم عاد الى مقعده مطمئنا وإن غشى طمأنينته حزن عميق . احتضنته حسنية فى حنان. قالت وهى شاردة:

- أرى صورة أبيه كل يوم فى الجرائد..من هنا يستمد كبره وغروره

- طبعا. مجموعة شركات الشريف تتاجر فى كل شيء ، حتى فى البنى آدميين

- وما عمل والد داليا بنت الأصول؟

- لن تصدق..انها ابنة وزير الصناعة!

- لماذا كان وقوفها بجانبك ياترى؟

- داليا انسانة متواضعة وعلى خلق ، وهى شديدة الذكاء ، ودائما تجلس بجوارى فى المدرج وتناقشنى فى المحاضرات

- فاعلم أن توفيق محروق منك لهذا السبب أكثر من حرقة لتفوقك

- وكيف عرفت؟

- لايهم..كلها بضعة أيام وتتخرج وتستريح من رؤية خلقته

- نعم ، لكنى للأسف لن أرى داليا مرة أخرى

- وماذا تريد منها

- لا أعرف

- يابنى نحن ناس على قد حالنا ، وكل فولة ولها كيال

أما زيدان فقال له:

- المياه لاتجرى فى العالى

- ولماذا صنعوا الظلمبات؟

- الطلّبات لارتفاع المياه بغير موتور يا حبيبي
 - وأنا أملك هذا الموتور يا أبي
 - أين هو؟!
 - ارادتي.
 - عظيم ، لكن يلزم أن تكون ارادتك في حدود امكانياتك وقدراتك. يعني لايجوز لحلمي ابن الأسطى زيدان السائق أن يحلم بداليا بنت الوزير
 - اطمئن يا عم زيدان. لاتخف على ، فحلمي اليوم أصبح أكبر بكثير من حلمي بداليا
- يوم تخرجه في كلية الهندسة اتخذ لنفسه هدفا واحدا محددا لاثاني له. وضعه نصب عينيه وقد رأى في حتمية تحقيقه مسألة حياة أو موت. قرر أن يكون هو الطريق الوحيد الذي يسير فيه ، والزاوية الوحيدة التي ينظر منها الى الدنيا. هدف ذو أبعاد ثلاثة واضحة: أن يصبح غنيا وبسرعة وبشرف. كلما تذكر هدفه هذا تذكر كلمات نيتشه التي كان مغرما بها عندما كان يقرأ كثيرا قبل اندماجه في ميدان العمل. تغلغل في أعماقه المعاني التي كان نيتشة يبثها في عقول المتطلعين الى المجد والنجاح والتفرد. عندما تتفوق على الآخرين تعتلى فوقهم. كلما اعتليت ازددت صغارا في أعين الحاسدين، وما كره الناس أحدا كرههم للمحلقيين فوق السحاب. سوف تحلق يا حلمي وتحلق. يجب عليك أن ترضى بالاحتراق بلهبك إذ لايمكنك أن تتجدد مالم تشتعل حتى تصبح رمادا. كل ما عليه أن يقبل الآن بالأمر الواقع ، فليس من العدل أن يتساوى سكان حى السفارات بسكان حى رأس التين، وليس من العدل أن يتساوى طاهر بك وثريا هانم بسائقيهما الأسطى زيدان. لا مساواة بين الناس ، بل انه يجب ألا يتساوا ، فقد خلقهم الله بعضهم فوق بعض درجات. ستكون الدرجات العليا من نصيبه طالما لم يتراجع لحظة عن هدفه.. هذا ما كان يشغل بال حلمي وفكره في كل لحظة من لحظات عمره.
- كان زيدان يشك كثيرا في إمكانية الجمع بين العناصر الثلاثة لهدف حلمي معا. أما رشوان الذى يصغر حلمي بحوالى سبع سنوات ، فقد طال جداله معه حول هذا الأمر حتى نجح دون أن يقصد في استنطاقه بإسمين لم يكره مثلها في حياته: ثريا وتوفيق. انتزعهما أخوه الأصغر من لاوعيه كمصدر قوى لنشأة الهدف الثلاثى الأبعاد والسعى الى تحقيقه بكل السبل المشروعة.
- محبة حلمي لأخيه فيها كثير من الأبوة رغم صغر الفارق العمرى بينهما. اعجابه بعقلية رشوان يصل الى درجة الثقة في أنه سوف يكون ذا شأن عندما يكبر. رشوان عاشق للأدب. كثيرا ما يترك المواد الدراسية المقررة عليه ويغرق في قراءة التاريخ والروايات ودواوين الشعر. لم تأت هذه الثقة من فراغ ، فقد انتبه حلمي الى أن رشوانا نافذ البصيرة وذو قدرة عجيبة على التنبؤ بالأشياء وتوقع الأحداث قبل وقوعها.

- اعتقد مدير المصنع أن الخبير الذى استحضره من فرنسا هو الذى نجح في تشغيل الماكينة التى ظلت معطلة لأكثر من شهر دون أن يتمكن أحد من إصلاحها وإعادة تشغيلها. لما قيل له ان الذى أصلحها مهندس شاب حديث التخرج ، أرسل فى استدعائه على الفور:
- برفو يا حلمي. أنا سعيد بك جدا. سأصرف لك مكافأة كبيرة
 - شكرا يفندم ، ولكن لى عند سيادتك طلبا
 - نعم. قل ماذا تريد
 - هناك مجموعة دوريات ومجلات علمية ، أتمنى أن تشتريها الشركة وتودعها بالمكتبة حتى يتمكن المهندسون من متابعة التطورات العالمية السريعة فى مجال الأجهزة الكهربائية والالكترونية.
 - يجب طلبك على الفور. أكتب أسماءها الآن
 - شكرا يفندم
 - بارك الله فيك. عزمك القوى جدد إيماني بالأمل فى المستقبل

-3-

- طلب حلمى من أبيه وألح فى طلبه أن يترك العمل عند طاهر بك. أن الأوان كى يستريح العجوز من عناء قيادة السيارة ، وقبل كل شىء من عناء التعامل مع تلك السيدة الكريهة. قال زيدان انه مادامت صحته جيدة فلا يمكن أن يقبل بالجلوس فى بيته عاطلا ليقوم ابنه بالانفاق علي الأسرة بدلا منه.
- لن تجلس عاطلا..المهم أن تترك هذه السيدة
 - كيف؟
 - سأشترى لك "تاكسى"
 - ومن أين لك بئمنه وأنت لم تكمل عاما واحدا بالشركة؟
 - فى هذا العام يا أبى تعلمت لف المواتير وإصلاح الأجهزة وتركيب المعدات فى المكاتب والبيوت
 - ماشاء الله عليك. أراك تتكلم بثقة شديدة. إياك أن تكون مشيت "شمال"!
 - عيب يا زيدان. أنا عند وعدى ولم أنس هدفى: "غنى وبسرعة وبالحلال". أترك عملك الحالى وسأشترى لك "تاكسى" على الزيرو ولا شأن لك بالمسائل المادية
 - اسمع يا حلمى. أنا مضطر أن أقول لك ما يمكن أن يزيل عذابك القديم ويريح قلبك الى الأبد
 - ما هو؟
 - ثريا ماتت يا بنى
 - اجتاح حلمى سيل غامض من المشاعر المتضاربة بين الدهشة والشماتة والاعتبار من حوادث الدنيا. واصل زيدان:
 - ماتت فى حادثة بشعة والعياذ بالله
 - كيف؟
 - أعطاه طاهر بك حرية مطلقة. كان يحبها جدا. لكنها لم تقدر النعمة. لايجوز عليها الا الرحمة
 - يهمنى أن أعرف كيف ماتت
 - عشقت شابا متلافا يسعى وراء ثروتها. كنت أصطحبها الى مسكنه كل يوم
 - وكيف قبلت ذلك على نفسك؟
 - أصبر يا بنى. لم اكن أعرف فى البداية. كنت أعتقد أنها تزور بعض أقاربها، الى أن جاء يوم ذهب فيها لأخذها من القصر ، حين قابلتني بعنجهيتها المعتادة . كنت قد اكتشفت السر. أصدرت أمرها لى بصرامة كما اعتادت:
 - اطلع الى المعمورة
 - بعد عدة أمتار من القصر توقفت فجأة دون أن اتكلم.
 - لم أوقفت العربية يا بنى آدم؟
 - حتى نتكلم بعيدا عن القصر
 - فيم نتكلم أيها المخرف؟!.. هل جننت؟!!
 - أبدا. أنا والحمد لله ما زلت محتفظا بعقلي
 - انطق. فيم الكلام؟
 - ما تفعلينه يا هانم عيب وحرام
 - ألم أقل أنك جننت؟!..اطلع الى المعمورة فورا والا استجد نفسك فى الشارع. هناك ألف سواق يمكن أن يحلوا محلك
 - أولا لن أطلع الى المعمورة. ثانيا لن تستطيعى طردى يا هانم
 - تفضل انزل من العربية. أنت مطرود من الآن
 - لو تحبى حضرتك أن تنزلى فانزلى ، أما أنا فلن أنزل

- لو لم تنزل سأستدعى لك البوليس
- اهدنى يا مدام ولا داعى لأن تجلبى لنفسك المتاعب
- اذن عد بى الى القصر وهناك سوف أعرف كيف أتصرف معك
- ياترى كيف سيكون هذا التصرف؟ ماذا ستقولين لظاهر بك؟. الأسطى زيدان رفض أن يوصلنى الى حبيب القلب!؟
- اخرس يا حيوان
- الحيوان ياست هانم هو الذى يمشى وراء غرائزه. يعنى ولا مواخذة كما تفعلين
- حضرتك بالضبط
- أنا التى سأنزل ، وسترى ما سأفعله بك
- تفضلى لو استطعت
- لأول مرة أراها ضعيفة. مرتبكة. حائرة.
- هف!!..لن أنزل
- أعرف أنك لن تنزلى. اخزى الشيطان ياهانم وصونى كرامة الرجل الذى يحبك وتعيشين فى خيره
- والله عال. أصبحت تتدخل فى حياتى وتريد أن تسيرها لى أيضا!
- العفو ياهانم. لو كنت أريد التدخل لأخبرته بكل شىء. لكنى أنصحك لوجه الله
- وفر النصيحة على نفسك وكن فى حالك
- أرجو ألا تضطرينى الى ابلاغ ظاهر بك ، وتأكدى أننى لن أعطيك هذه الفرصة مرة أخرى

واصل زيدان:

- انفجرت فجأة فى البكاء لدرجة أننى أشفقت عليها من ضعفها الانسانى. ورغم أنها تنازلت عن كبريائها وتعهدت لى بأن تقطع هذه العلاقة، الا أنها ماتت بجوار هذا الشاب فى حادث تصادم بشع بعربته عقب تعهدا هذا بأيام قليلة.
- وبالطبع عرف زوجها الحقيقة
 - نعم ، ولكن من الجرائد وتحقيقات البوليس وليس منى
 - وماذا فعل؟
 - كانت صدمته عنيفة. أثرت على صحته وعلى كل حياته. أنا فى غاية التأثر لحاله والتعاطف معه
 - لذلك لا تريد أن تتركه؟
 - الحمد لله أنك اهتديت للسبب. أنا أحب هذا الرجل
 - ابق معه يا أبى، لكنى سأشتري التاكسى فعلا بالتقسيت ، وأقوده بنفسى فى أوقات فراغى من العمل
 - ومن أين لك بهذا الفراغ وأنت تعمل معظم اليوم؟!؟

طالما ألحت نشوى على عماد أن يترك السياسة والحزب ويتفرغ لعمله فيوفر الوقت والجهد والمال، ويهتم بشئون زوجته وابنهها سالم. لم يستجب يوما لندائها ، فالسياسة والعمل الحزبى يسريان فى دمه. عماد يحلم ويخطط بصبر ودأب ومهارة لأن يكون عضوا بمجلس الشعب عن دائرته الانتخابية.

يمتلك عماد مخزنا ومحلا كبيرا لبيع الأجهزة الكهربائية ، فضلا عن عمله كمقاول أعمال كهربائية للشركات والعمارات السكنية الجديدة. كثيرا ما يضطر الى اغلاق المحل حين انشغاله إما بمقاوله جديدة وإما باجتماعات الحزب.

فى طريقهما الى أحد المطاعم عرضت عليه نشوى أن يعرض اعلانا بالجراند يطلب فيه شابا ملما بحرفة الكهرباء يتولى عنه ادارة المحل الكبير، على أن يكتفى هو بالمقاولات والحزب.

قبل أن يقف بهما التاكسي أمام المطعم عبر عماد لزوجته عن صعوبة العثور على مثل هذا الشاب ، إذ أن صفة الأمانة أصبحت نادرة هذه الأيام. فوجئنا بسائق التاكسي يقول:
- وفرا ثمن الإعلان. أنا أستطيع أن أدلكما على كهربائى أمين ومن أسرة طيبة
قال له عماد فى لهفة:

- ياريت. كتر خيرك. من هو؟

- أنا !!

كان عماد قد حاول امتصاص ثورة زوجته بدعوتها الى العشاء خارج البيت ، ولما كانت عربته فى الصيانة فقد اضطر الى استئجار "تاكسى". كانت ثورتها منصببة على اهمال عماد - غير المقصود - لقرة عينها سالم ، وعدم متابعتة لدراسته أو مشاركته اهتماماته وهواياته. فى رحلة العودة اشترى له كتابا ثمينا مصورا يصف دول أوروبا طبيعة وشعوبا وثقافة. فرح سالم بالكتاب فرحة طاغية فقد كان شغوفًا بالتعرف على دول العالم المتقدم. تمنى دائما أن تتاح له الفرصة يوما كى يسافر الى أوروبا وأمريكا.

سأل عماد حلمى :

- اذن فكل الشروط التى استمعت اليها تنطبق عليك!

- نعم

- فما الذى جعلك تمارس مهنة السائق؟

- الجدول

- أى جدول يا اسطى؟

- قد حددت لنفسى جدولا زمنيا ينتهى بادخار مبلغ معين ، يعقبه بعد فترة جدولا آخر

وهكذا حتى أحقق هدفا نهائيا محددًا

- واضح أنك تعرف جيدا ماذا تريد وكيف تخطط له

- اعلم يا سيدى أننى مهندس كهربائى ولكنى أعمل على التاكسى فى وقت فراغى فقط

- برفوو..ومتى تخرجت فى الهندسة؟

- منذ سنة واحدة

- وهل تفهم فى أعمال الكهرباء بخبرتك المحدودة ؟

- يمكنك أن تختبرنى بنفسك

- متى؟

- الآن..اطرح أسئلتك ونحن نتناول العشاء

- نحن؟..ماذا تقصد بنحن؟

- ثلاثتنا ، فأنا أدعوكما الى العشاء على حسابى

ضحكت نشوى وقد انبهرت بسرعة بديهة الشاب وثقته بنفسه. همست لعماد بنبرة اعجاب:

- يبدو انه انسان ظريف

سارع حلمى بالتدخل:

- ليس ظرفا يامدام. انه "بيزينيس" .. يعنى عشاء عمل

تردد عماد قبل أن يسأل نشوى فى ارتباك:

- هل أنت موافقة يانشوى؟

- نعم ولكن بشرط أن نتكفل نحن بالدعوة وليس هو

تساءل حلمى فى مكر ظريف:

- وما العمل لو رسبت فى الامتحان؟

أجاب عماد ضاحكا بمحبة:

- فى هذه الحالة تدفع أنت الحساب يا بطل

لم تقف مشاعر عماد تجاه حلمي عند حدود الاعجاب والانبهار بكفاءته في العمل، إذ أحبه بالفعل وأصبح يعامله كأخ أصغر له. أحدث حلمي نقلة ايجابية ملموسة في تجارة عماد جعلته يحسد نفسه على المصادفة القدرية التي أهدته هذا الانسان الذي يصرح له ببساطة ودون حرج أن أباه يعمل سائقا على عربة خاصة . حاول حلمي أن يوزع يومه بين الشركة التي عين بها ، وقيادة التاكسي ، وادارة محل عماد ومخزنه. أدرك أنه لن يوفق في الجمع بين الأعمال الثلاثة الا بمعجزة تتطلب مضاعفة عدد ساعات اليوم ودقائق الساعة وثوانى الدقيقة.

عرض عليه عماد أن يستقيل من الشركة ويسلم التاكسي الى سائق بالأجر ويتفرغ للعمل معه في المقاولات الى جانب اشرافه على المحل الكبير على أن يضاعف له راتبه ثلاث مرات. كانت خطوة موفقة للطرفين، إذ توسعت دوائر أعمال عماد ، وتضاعفت الأموال التي ادخرها حلمي لاستكمال مرحلة الجدول الأول من حياته طبقا لتخطيطه شبه المقدس مرددا في وجدانه كلمات نيتشه الملهمة دائما لخياله : "إذا كانت الانسانية تسير بلا غاية ، فأنا أعرف غايتي وأتسلق اليها بكل ما تضرر ارادتي من عزم وتصميم ، متخطيا كل العقبات، فلم تخلق قمم الجبال الا لأمثالي من الشجعان".

قبل سفر حلمي الى احدى الدول الأوروبية لشراء معدات جديدة، عبرت له حسنية عن قلقها على صحته لشدة ارهاقه لنفسه بالعمل ليلا ونهارا. قال لها بثباته المعتاد:

- لا تقلقى يا أمى. سأبيع التاكسي باكر ان شاء الله
- ولم تقطع عيش الرجل الطيب الذى يعمل عليه؟
- لا مفر ، فقد عثرت على محل "لقطة" فى موقع رائع ، سيكون خطوتى الأولى نحو الاستقلال

- وتترك عماد صاحب الفضل عليك بهذه البساطة؟
 - عماد يحبنى وقد بارك قرارى بل وشجعنى على تنفيذه
 فوجيء حلمي بأبيه يستقبله فى المطار لدى عودته. علم أن نشوى نقلت منذ ساعات الى المستشفى مما اضطر عماد للبقاء معها. عندما أبدى حلمي قلقه العفوى الشديد على نشوى ، انتقل القلق الى أبيه الذى سأله بنبرة استطلاعية مجربة:

- لم فرعت هكذا؟.. يبدو أنك تعز هذه السيدة جدا!!
- فعلا يا أبى. انها سيدة كريمة وطيبة فوق ما تتصور
- شد حيلك وشف لك واحدة تضبط لك ايقاع حياتك المكهرب بسرعتك الجنونية
- لا تقلق. أنا مسيطر على هذا الايقاع فأنا الذى صنعته، ولا تنس جدولى ياعم زيدان وتطلب منى الزواج
- جدول ايه يا بنى؟!.. أنا بصراحة عاجز عن ملاحقة طموحك
- غنى وبسرعة وبالحلال
- خل بالك على نفسك يا حلمى. أنا خائف عليك

عندما وصل حلمي الى المستشفى كان عماد وسالم قد غادراه لشراء بعض الحاجيات لنشوى.

- الف حمد لله على سلامتك يا مدام
- تسلم لى يا بشمهندس. جئت من المطار مباشرة قبل أن تستريح!!
- هل تحتاجين الى أن أبيت الليلة فى جوارك بالمستشفى لو كان عماد مشغولا؟
- لاداعى لذلك. عملية مصران بسيطة. سأخرج باكر ان شاء الله. تعرف يا حلمى أنا أشعر دائما أنك كابنى سالم تماما رغم أنى لا أكبرك الا بحوالى ثلاثة عشر عاما فقط
- ربنا يحفظك لنا جميعا
- ألم تلاحظ حتى الآن الشبه الشديد بينك وبينه وبين عماد أيضا؟

- نعم لاحظته يوم التقينا بالتاكسي لأول مرة
- أريد أن تجيبني بصراحة. هل هناك ما ضايقتك أو أغضبتك من العمل مع عماد؟
- اطلاقا ، فحن صديقان متحابان ومتفاهمان فوق ما تتصورين
- لماذا اذن تريد أن تتركنا وتعمل وحدك؟
- بالعكس . من مصلحتي أن أظل مرتبطا بعماد ماديا ومعنويا ، وهذا ماسوف يكون بعد أن أستقل بعملى. واعلمى أن عماد هو الذى أرشدنى ودلنى على هذه الفرصة بنفسه
- هذا لايدهشنى ، فعماد انسان رائع. قلبه قلب طفل. لم أرى انسانا فى إخلاصه
- لذلك لن أتخلى عنه أبدا ، مثلما لن أتخلى عن جدول المرحلة الثانية
- أنا لا أفهم ألغاز جداولك
- المرحلة الثانية تبدأ بالمحل الجديد
- وهل يضمن أحد عمره حتى يقسمه الى جداول؟
- الانسان المتحضر لايتناقض ايمانه بالقضاء والقدر مع ايمانه بأهمية التخطيط للمستقبل
- اتفق عماد مع حلمى على أن يزود محله الجديد بالمعدات وقطع الغيار والأجهزة كبداية للعمل، يعقبها فيما بعد الاتجار فى المواتير والديناموهات والمحولات والمعدات الكهربائية الثقيلة. بعد أن صدق عماد فى وعده وأمدته بالبضاعة اللازمة من مخزنه ، فوجيء بحلمى يقول له:
- وبعد أن يلمع اسمى فى السوق أدخل على جدول المرحلة الثالثة بأمر الله. مرحلة المقاولات
- تريد منافستى يا حلمى؟
- حتى لو نافستك فسوف أكون المنافس الشريف الذى لا ضرر منه أبدا
- أنا مؤمن بأن أحدا لا يأخذ رزق أحد
- وأنا لا أعرف كيف أرد جمانلك يا عماد بك
- لآبك ولا بشمهندس. أنا عماد وأنت حلمى. أختى الأصغر
- فلنقرأ الفاتحة على دوام الأخوة

- 4 -

نجح رشوان في الثانوية العامة والتحق بكلية الآداب، إذ قرر الانتماء الى عالم الأدب والأدباء. كان قد اكتشف من قراءاته أن الريادة المعاصرة للأدب قد احتكرها الغرب مثلما احتكر ريادة العلم من قبل. عندما قرأ تاريخ الحضارة الانسانية عرف أن مصر كانت صاحبة أقدم حضارة في العالم، كما أنها كانت بشهادتهم تمثل فجر الضمير الانساني، وهي التي نقلت الى الغرب العلم والصناعة، بينما لم ينقل له الإغريق الا الفلسفة. كما تعلم أنه قد كان للحضارة العربية فضل كبير على حضارة الغرب ، إذ قرأ عن جابر ابن حيان وابن النفيس وابن الهيثم وابن سينا وابن رشد. إذن فقد سرق الغرب الحضارة من العالم ثم أنكر مصادرها بكل وقاحة ، ونسبها لنفسه بغير حق. وعندما قرأ عن الحروب الصليبية واستعمار دول الغرب لأوطان عربية عديدة ، دبت في قلبه كراهية شديدة لهذا العالم الذي كان آخر من وصلت اليه الحضارة الانسانية فأصبح بحق آخر المتحضرين. ثم ازدادت كراهيته للغرب بعد ما فعلوه مؤخرًا بالعراق وليبيا واليمن وسوريا ودول أخرى في مختلف أرجاء العالم. أصبح لا يطيق الاستماع الى كلمتى أمريكا واوروبا. رغم ذلك فقد التهم بشراهة معظم نتاجهم الأدبي في عالم المسرح والرواية ، والذي كانت قيمته ضئيلة في نظره بالقياس الى الأدب الروسى. لقد أصبح يعتقد بشدة في أن مآل صعود الغرب السريع الى ذروة الحضارة والتقدم سيكون الى الاضمحلال والهبوط فى النهاية.

نجح سالم فى الاعدادية والتحق بالقسم العلمى، إذ ينوى دخول الأكاديمية البحرية ليحقق رغبته القوية فى السفر والعمل بالبحر. أمده عماد بالمزيد من الكتب الجغرافية والتاريخية عن دول العالم الغربى المتقدم، حتى يشبع فضوله المعرفى فى هذا الاتجاه. ينبع حب سالم للغرب بصفة رئيسية من تقدمه العلمى والتكنولوجى وأخذة بأسباب الحضارة الحديثة بحسناتها وسيناتها، حتى تسيد العالم فى كل المجالات. وهو يرى على قدر علمه وثقافته المحدودتين أن الغرب قد وصل فى مرحلة صعوده الى التقدم نحو الذروة التى لا يمكن ولن يقبل أن يتخلى عن وقوفه عليها بكل ثبات الى الأبد.

يرجع سالم السبب الرئيسى فى هذا التقدم الى سيادة النظم الديموقراطية فى هذه الدول ، إذ يتمتع فيها الانسان بحرية الفكر والرأى ويعيش حياة آمنة مرفهة، بينما يخضع العالم العربى بأكمله تقريبا لحكم شمولى ديكتاتورى عائلى قبلى متخلف، يستخدم فيه الدين كمطية سهلة للسيطرة على مقدرات الشعوب وثرواتها، اعتمادا على جهلها وضعف وعيها. لهذا يمجّد سالم الغرب ويعشق كل ما هو غربى، ويتمنى أن يغادر مصر الى غير رجعة ليعيش هناك. غير أنه لم يصرح لوالديه بهذه الرغبة الدفينة المتأصلة فى ضميره ووجدانه لحين أن ينهى دراسته الثانوية.

رغم معقولية رؤية سالم للعالم المتقدم وصدق معظم معطياتها ، إلا أنه لم يأخذ بالأسباب التى تؤهله للرحيل الى هذا العالم والعيش الكريم على أرضيه. لم يضع فى اعتباره أن الحظ لا يمكن أن يحالفه هناك - أو حتى فى أى مكان بالدنيا - مالم تلتق الفرصة بالاستعداد، وهو لم يستعد بشيء.

أقامت حسنية وليمة غداء فاخرة احتفالاً بنجاح رشوان وسالم. هنا حلمى عماد بصداقته المتنامية مع عم زيدان ، مؤكداً أن هذه الصداقة ستجلب له ما لا يقل عن ألفى صوت من أصدقاء زيدان بالمنطقة. فاجأ حلمى الجميع بطلب سلفة مالية كبيرة من عماد ، مع تسهيلات فى السداد. برر طلبه ببطء تحرك جدول المرحلة الثانية. أسقط فى يد عماد. لحظ حلمى أثر المفاجأة عليه. سارع بالتحفظ فى مطلبه موضحاً أن من حق عماد أن يرفض دون أدنى أثر على حسن علاقتهما. طمأنه عماد بأنه لا يمكن أن يتأخر فى اجابته الى طلبه. استسمحه فى مهلة زمنية قصيرة يراجع فيها موقفه المالى. لم ينس أن يعلن أمام الجميع أنه جنى أرباحاً طائلة بفضل حلمى فى المدة التى عمل فيها معه، وأنه بإعطائه هذا القرض فهو يرد جزءاً من جميله عليه.

- ما أن دخل عماد بيته بصحبة زوجته حتى اندفعت صائحة فى دهشة:
- ما الذى جرى لعقلك يا عماد؟ لو كان أخى هو الذى طلب منى هذا المبلغ لرفضت. فى هذا الزمان الردىء لا يوجد أحد يقرض غيره مثل هذا المبلغ الضخم دفعة واحدة
 - اهدنى يا نشوى ولنحسبها بالعقل
 - احذر هذا الولد. انه خطير!
 - أبدا هو شاب طيب وابن أصول. كل ما هنالك أن طموحه زائد
 - هو حر فى طموحه ولكن على حسابيه لا على حساب الغير. أرى كما لو كان قد سحرك بكلامه المعسول
 - غريب أن تنقلبى عليه بهذه الحدة بعد أن كنت منحازة له أكثر منى
 - هذه فلوس سالم وليس من حقنا أن نغامر بها
 - لاتوجد مغامرة. سأجعله يوقع على كمبيالات كما حدث عند تأسيس محله، ولا تنسى أن أفضاله علينا كثيرة
 - لو كنت مصرا فاكتب له شيكا بنصف المبلغ فقط حتى نقلل من احتمال الخسارة.
- دخل حلمى على عماد فى مكتبه وسأله بجديّة:
- هل كتبت لى شيكا بنصف المبلغ الذى طلبته منك؟
- ذهل عماد من المفاجأة غير المتوقعة:
- ومن أدراك أننى فعلت ذلك؟!!
- قال حلمى وهو يضحك من قلبه:
- هذا ماتوقعته ولذلك طلبت منك ضعف المبلغ الذى أحتاجه بالفعل ، وعلى فكرة لو كنت مكانك لما فعلت غير ذلك
- فى غضون أيام قلانل نجح حلمى فى اقتناص مقابلة كبرى ، كان نصيبه الذى قرره لنفسه من أرباحها يعطى قسما كبيرا من قرضه. سلم الأوراق لعماد وقال له بثقة وثبات:
- تخصص قيمة أرباحى التى حددتها لك من القرض فورا
- فوجيء عماد بجراة حلمى الشديدة إذ لم ينتظر سماع رأيه فى الموافقة على ما قرره لنفسه من ربح. شرد قليلا وهو ينظر اليه فى دهشة شديدة تكررت كثيرا ، بينما تجاهل حلمى الأمر برمته.
- لماذا لاتتكلم يا عماد؟ فيم تفكر ياترى؟
 - وهل تركت لى فرصة كى أتنفس حتى أفكر يا بنى آدم؟!!
 - خذ نفسك على راحتك وتكلم
 - هل تشاركنى يا حلمى؟
 - نعم؟!.. أنسيت أنك معلمى وأننى صبيك؟!!
 - أسلمك الشركة كلها. تديرها بأسلوبك المخيف هذا ولك ثلاثين بالمائة من الأرباح
 - لو وافقت سأطلب خمسين بالمائة
 - كثير
 - لا تخف ، فأنا غير موافق
 - لماذا؟
 - لأننى خلال فترة زمنية قصيرة سأملك شركة مثل شركتك

يعانى زيدان بصفة دائمة من حالة دهشة أقرب الى الذهول من تصرفات حلمى وسرعة ايقاعه الرهيبة فى التعامل مع الحياة. فى مناسبة تهنئته بالشركة الجديدة صمم على أن يختطف من وقته ساعة أو ساعتين- رغم أنه - يتحدث فيهما معه ويستمتع اليه ، ويفضف له فيه عما بقلبه من نصائح ومحاذير ونصائح أبوية خالصة. الولد زنبقى محير ، أو كما يقولون فى المثل الشعبى "مالوش ملكة" بتسكين اللام. نادرا ما يجد الوقت للاستماع الى أبيه أو لغيره فى أى حديث يخرج عن نطاق عمله أو يعطله ولو دقيقة عن

السعى نحو الذروة التى يحلم بها. أودعته الحياة سرا يحتم عليه التفوق على ذاته بأن يكون هو الجهاد والمستقبل والهدف. لا ينبغي لأى مخلوق أو لأى قوة أن تعوقه بشكل من الأشكال. انه لن يسمح لأحد غير نفسه بأن يكون العائق الذى يعترضه فى انطلاقه نحو هدفه، ولن يكون فى يوم من الأيام سببا من أسباب تراجعها أو ارتباكها فى طريقه الى الصعود.

- ألف مبروك يابنى
- الله يبارك فيك يا زيدان. الآن يمكننى الانتقال الى الجدول الثالث
- يابنى أنا قلق من جداولك هذه. اجتهد وسلمها لله أحسن
- لو لم أكن مع الله فى كل خطواتى السابقة لما وصلت الى ما أنا فيه الآن
- لن أتركك اليوم قبل أن أنفض لك كل ما احتبس فى صدرى بشأنك
- سلامة صدرك يا حاج. قل ما تريد. معك للصباح
- كان جدك يردد بيتا من الشعر عندما يلحظ تجاوز طموحى الى الطمع فيقول:
ما طار طير وارتفع/ الا كما طار وقع
- يا أبى هذه أفكار بالية عفى عليها الزمن. أنا أعشق الارتفاع بلا توقف
- لهذا أنا خائف عليك. ثق أن كل صعود يعقبه هبوط أو سقوط. هذه سنة الحياة. ينطبق هذا على الأشياء والأحداث مثلما ينطبق أيضا على الانسان.
- لكن حلمى كان يؤمن أن منحنى صعوده لا بد أن يكون خطا مستقيما لا ينحني ولا يهبط أبدا ، وانما يتصاعد فى استمرار لا ينتهى. لم ينجح زيدان – رغم ثقافته الفطرية الحياتية العميقة – فى اقناعه بأن هذا الفكر مناقض لناموس الحياة والكون ، فالانسان يصل الى ذروة عمره فى حوالى الأربعين حين تكون قدراته وملكاته فى أحسن أحوالها ، ثم يبدأ بعد ذلك فى النزول باتجاه الشيخوخة حتى يلتقطه الموت ، فلا شباب حينئذ ولا شيخوخة ولا شيء غير العدم الذى خلقه الله منه. كذلك الأمر نفسه مع الحضارات الانسانية المختلفة ، ومع أطوار حياة النبات والحيوان. كان زيدان واثقا أن الإثراء مع السرعة لن يتوافقا الى الأبد مع الشرف والأمانة. من هنا كان خوفه على حلمى من السقوط ، فكان يكثر من تحذيره وإنذاره ، ولكن دون جدوى. فاجأه حلمى بالسؤال عن طاهر بك ، مبررا ذلك بأنه أصبح فى حاجة ضرورية الى إكمال نصف دينه بزوجة تساعد فى تنظيم حياته!
- سبحان الله. وما شأن طاهر بك بالزوجة التى تريدها؟!
- العروس هى ابنته رشيدة
- أنت مجنون!
- رشيدة ليس لديها مانع
- كيف تقول ذلك وأنت لا تعرفها؟
- سأحكى لك التفاصيل لاحقا. المهم أن تحدد لى معه موعدا لأطلب يد ابنته منه
- لا اله الا الله. أنا يابنى لا أفهمك. تريد الزواج من ابنة ثريا هانم التى لا تطيق سماع اسمها؟!

- 5 -

وقع عماد في ورطة مالية عقب خسارته في أكثر من مقابلة على التتابع. انخفض رصيده البنكي الى درجة خطيرة. جاء يهنئ حلمى بشركته الجديدة. قال ان خسارته تتوالى منذ انفصل عنه حلمى. أخفى عنه حلمى أنه يعانى مثله من حالة السوق المتردية في تلك الأيام. لكنه وضع أمامه دفتر شيكاته دون تردد وقال له:

- أكتب المبلغ الذى تحتاجه الآن فوراً
- كادت الدموع تتساقط من عيني عماد. ربت حلمى على ظهره في حنان نادر وهو يقول:
- ايه يا عماد؟.. نسيت بسرعة الفاتحة التى قرأناها معا !
- أبدا لايمكن أن أنسى فاتحة الأخوة
- لكنك نسيت أفضالك على. أنت ولى نعمتى يا جدع.. أكتب
- وأنت انسان أصيل يا حلمى. لآحرمنى الله من رجولتك وشهامتك

استعادت نشوى ثققتها بحلمى ومحبتها له بعد موقفه من عماد. كانت صدمتها في سوء أحوال زوجها المالية أهون عندها من صدمتها في ابنها سالم الذى يصر بجنون على السفر الى الخارج ، تاركا الأهل والوطن بسهولة أزعجت قلبها. يصر سالم على أن يكمل تعليمه الجامعى فى أمريكا ، وأن ينفق على تعليمه من عائد عمله هناك. يرفض البقاء فى مصر رفضاً قاطعاً. يفكر بعقلية تتجاوز عمره الصغير. هو لا يكره وطنه ولا يسبه مثل كثير من أقرانه ، لكنه يرفض فى هدوء ما آلت اليه أمور الوطن من سوء فى معظم المجالات رغم قيام ثورتين اصلاحيتين متتاليتين. الفساد يستشري فى البلاد. التعليم فاشل. الصحة فاشلة. الصناعة معطلة. وطن يعيش على القروض ويعانى من الارهاب الذى لا يهدأ أبدا رغم أن رجاله مصريون. الغلاء يشتعل بصفة متزايدة تحول دون أمل فى المستقبل للشباب الذين يعانون من البطالة ومن جنون أسعار المساكن، حتى ارتفعت نسبة العنوسة عند الفتيات والفتيان الى درجة غير مسبوقة.

تسلطت عليه فكرة مؤداها أنه لن يستطيع النجاح فى وطن يعانى من مثل هذه الظروف الصعبة ، وبالتالي فعليه أن يبدأ حياته من خارج هذا الوطن. يتعلم هناك تعليماً حقيقياً. ينفق على نفسه بأن يلتحق بأى عمل يكفى دخله للاستمرار فى تحقيق غرضه. لكنه لم يمهد لذلك كله بأن يدرس ويتعلم ولو لغة أجنبية واحدة، أو أن يتعلم الكمبيوتر ، أو حتى يتعلم حرفة ويتقنها بحيث يمكنه أن يقاتل منها.

توسلت اليه أمه أن يبقى ، فهي لن تتحمل فراق ابنها الوحيد فى غربة مجهولة الأجل. طارت توسلاتها فى الهواء ، فسالم قد ادخر تكاليف سفره الى أمريكا دون أن يدري به أحد ، كما رتب أموره مع صديق له هناك بحيث ينزل عنده فى البداية ، مستندا الى منحة علمية اقتنصها من الانترنت بعد طول صبر ومثابرة وعناء وبحث دوؤب.

لم يكن سالم يعجبه أسلوب حياة أبيه من حيث ارتباطه بحزب عديم اللون والطعم والرائحة، يستنفذ جزءاً كبيراً من وقته وطاقته ، ومن ماله فى كثير من الأحيان. كان ينكر عليه الجمع الفاشل بين أعمال المقاولات والجولات الدعائية والاتصالات التى لاحصر لها مع الناس لأجل الحصول على مقعد فى مجلس الشعب. قالت له أمه بنبرات تقطر حزناً:

- أترك أباك فى أزمته وترحل؟
- هو المسؤول الوحيد عن هذه الأزمة فهو لا يعرف ماذا يريد، أما أنا فقد خططت لما أريد وسأنفذه بلا تردد

قالت له حسنية مازحة:

- تعال هنا يا جدع انت يابو جداول
- نعمين يا ام العريس
- قل لى ما حكايتك مع بنت طاهر بك، وكيف تلاقى الشامى بالمغربى

- الحقيقة أننى كنت مصرا على أن يترك أبى العمل عند طاهر بك رغم صداقتهما القوية. لذلك ذهبت الى القصر بنية انهاء هذه المسألة بأية وسيلة ممكنة دون أن أعلم أبى بذلك

- ياقلبك الأسود يا حلمى.. ألا تنسى الأسيه أبدا؟!*

ما أن عبر حلمى بوابة حديقة القصر التى شهدت إهانة أبيه فى طفولته ، حتى رأى فتاة جميلة جالسة وأمامها مائدة عليها براد شاي صينى . ألقى عليها تحية الصباح بثقة طبيعية كما لو كان يعرفها منذ زمن طويل.

- صباح الخير يا أنسة

تناول على الفور مقعدا وظل واقفا بجوارها مستندا اليه. أصابتها المفاجأة بدهشة:

- صباح الخير. من حضرتك؟

قال ببساطة شديدة وهو يصب الشاي من البراد فى كوب فارغ وقد اتخذ لنفسه مجلسا.

- أنا حلمى. ممكن أقعد؟

- حضرتك قعدت قبل أن أجيب عن سؤالك، وأيضا تصب الشاي لنفسك كما لو كنت فى بيتك

- الحقيقة أننى أعتبر هذا البيت بيتى فعلا

يعرف أنه يكذب ، لكنه يستمتع بهذا الكذب فهو يؤهله لاقتحام بهو الأعمدة الضخمة التى طالما اقتحمت أحلامه. بيته الحقيقى بيت شعبي نمطى بحى رأس التين ويطل على البحر مباشرة. ايجار الشقة التى يسكنها خمسة جنيها فى الشهر. باب البيت الخارجى مصنوع من الخشب السميك المنقوش بزخارف كلاسيكية. تتوسطه قطعة حديدية على شكل قبضة اليد. يطررها القادم فيشد أحد السكان الحبل الطويل الذى ينتهى عند الدور الثالث والأخير، ليفتح الباب ويدخل الطارق فى أمان. غرف البيت كبيرة جدا فى طولها وعرضها وارتفاعها. الشقة مكونة من أربع غرف واسعة وصالة كبيرة يطلقون عليها "الفسحة" - بفتح الفاء والسين والحاء - الأثاث شديد التواضع. الشبابيك زجاجية طويلة مقسمة الى مستطيلات عديدة ذات أطر خشبية جميلة. من هذه النوافذ عاصر زيدان الأب مشهد دبابات الثوار وهى متجهة الى قصر رأس التين لحصاره صباح 26 يولية 1952 .

كان البحر عشقه الأكبر هو وكل أنداده فى الزقاق، فهو أول ما تراه أعينهم فى الصباح. كانوا متممين جميعا بحبه منبهرين بروعته سواء أكان صافيا هادنا أو ثائرا مزمجرا. كان البحر هو أول خبرته بطبيعة الكون والحياة الدنيا وتقلب أحوالهما الدائم مع الزمن. روى له أبوه أنه فى طفولته كانت ترسله أمه - جدة حلمى - الى البحر فى الصباح الباكر ويده مصفاة وتعطيه قرشين ليشتري "شروة" سمك من صيادى "الجرافة" الذين يسحبون الشبكة الى الشاطئ فى صفين متوازيين بحبال مربوطة حول وسطهم. يعود الى البيت بالسمك متقافزا. يلحق ببعضه قبل أن يودع الحياة فيضعه فى حلة بها ماء يضيف اليه بعضا من الملح، ليستمتع بمشاهدة أسماك المرمار والبطاطة والشراغيش وهى تعوم وقد عادت اليها الروح.. هذا هو بيته الحقيقى الذى لا يمكن أن تعرفه أو تتصوره فتاة القصر ذى الأعمدة.

أذهلتها جرأته:

- كيف؟

- ألا تعرفيننى بنفسك أولا؟

- أنا فى تعجب من جرأتك.. من أنت وماذا تريد؟!*

- قلت لك اننى حلمى. أريد مقابلة طاهر باشا

انصرفت تنادى أباهما . لما عادت لم تجده.

سألته حسنية:

- لم شغل البهلوانات هذا؟

- لأنى ذهبت اليهم بنية سيئة وهربت بنية حسنة
- أنا لا أفهمك
- فى الصباح التالى وجدتنى أمامها فى الكلية
- وماذا قلت لها؟
- رويت لها نكتة عن "اثنين من المساطيل سأل أحدهما الآخر عن أجمل خمسة أشياء فى الحياة . أجابه بأنهم ثلاثة أشياء. صدمته الاجابة فسأله ماهم. أجابه بأنهما المال والبنون".

بعد قليل كانا يتناولان المشروبات فى البوفيه. ازدادت دهشتها عندما علمت أنه ابن زيدان سائق الأسرة القديم. كان قد غزا قلبها بسرعة فائقة. من الطبيعي أن يأمل عماد فى أن يحل سالم محله خلال فترة إجازته حتى يتفرغ هو لحملته الانتخابية. لم يأخذ قرار سالم بالسفر مأخذاً جدياً، حتى فوجيء بأنه استخرج جواز السفر وأعد أوراقه وما ادخره من مال للسفر الى نيويورك خلال أسبوع. حاول عماد اقتناعه بأن مصير الشركة سيؤول اليه ، وانه لا بد أن يتدرب على ادارة شئونها من الآن حتى ينتهى من دراسته الجامعية. لكن سالم - كشأن كثير من شباب جيله - لم يعد مقتنعا بقضاء عدة أعوام بالجامعة تعقبها عدة أعوام أخرى للبحث عن عمل، وفى النهاية يتقاضى راتباً هزيباً لا يفي بمتطلبات الحد الأدنى من الحياة الكريمة، ولا يزيد على كونه مجرد إعانة بطالة مقنعة. كما أنه أوضح لأبيه بصراحة أنه لا يحب العمل فى مجال الكهرباء والتجارة والمقاولات نهائياً لاختلاف ذلك مع ميوله اختلافاً جذرياً. حاولت نشوى استعطافه كأم لاتريد أن يغيب عنها وحيداً فى بلاد الغربة لكنها لم تفلح معه. لم تؤثر دموعها على عزمه بمثقال ذرة.

يتساءل طاهر بك الارستقراطى الراقى عن سبب الانحدار العام فى سلوك الناس، وعن احترافهم الكذب ونهمهم للمال بحق وبغير حق. لا يجد عند صديقه زيدان جواباً، كما لا يجد زيدان مبرراً لاعتكاف طاهر بك عن الناس واستغنائهم عنهم بابنته رشيدة. معظمهم رحلوا عن الحياة والباقيين مازالوا متهافتين على السلطة والثروة رغم بلوغهم أرنل العمر. يقول طاهر لزيدان:

- يا زيدان لم يعد هناك "ناس"!
- ليس لهذه الدرجة يا طاهر بك
- صدقتى أنت الصديق الباقى الوحيد الذى أرتاح معه
- وأين أصدقاؤك من كبار رجال المال والأعمال والسياسة؟
- لم أعد أحتمل منهم أحداً ، خاصة بعد انهيار صحتى ورغبتي فى العزلة. غير أن ما يقلقنى هو مستقبل رشيدة ، فهى الوريثة الوحيدة لثروتى
- كانت حسنية قد حكمت لزيدان عما حدث بين حلمى ورشيدة ، مما ضاعف من حيرته وارتبائه فى مواجهة هذا الموقف مع طاهر ، خاصة وأنه لم يستطع أن يلتقى بحلمى فى هذه الآونة لانشغاله المحموم بالعمل. حينما استفسرت منه عن تطور المسألة أبلغها أنه لم يجرؤ حتى الآن على مفاتحة طاهر بك فى الأمر، رغم أن طاهر أبدى له قلقه أكثر من مرة بشأن عدم ظهور شاب مناسب يصلح لرشيدة ويضمن له ويأمن معه على ابنته وثروته. كان واضحاً لزيدان أن طاهر ليس لديه علم باللقاء الذى تم بين حلمى ورشيدة. ورغم أن رشيدة كانت تجالسهما كثيراً وتشاركهما الحديث فى أمر العريس المجهول الذى ينتظره والدها ، الا أنها لم تبد هى الأخرى أية إشارة تدل على معرفتها بحلمى. قالت حسنية:
- قلبى حاسس أنهما رتبا أمرهما بينهما فقط فى السر
- من الواضح فعلاً أنها لم تخبره بشيء ، وأخشى أن يكون هذا الموضوع سبباً فى إفساد علاقتى بطاهر بك
- وما أدراك ، فقد يوافق الرجل على ابننا .. الدنيا تغيرت يا زيدان

- تعجب عماد واندesh كالمعتاد من كثرة مباحثات حلمى غير المتوقعة:
- حتى الزواج يا حلمى بنفس الأسلوب الذى تعيش به!؟
 - مادام الأسلوب يخدم الهدف فهو صحيح
 - ألا يجوز أن تكون قد أحببتها؟
 - أنا أحببت مرة واحدة فى حياتى ولن تتكرر
 - إذن فلماذا وقع اختيارك على رشيدة بصفة خاصة؟
 - صدفة ، لا أكثر ولا أقل
 - لاداعى لتمكر على يا حلمى ، فكلنا نعلم أن والدها من أكبر وحوش الاستيراد والتصدير فى مصر ، ولا بد أن عينيك عليه
 - والله لم يرد هذا بخاطرى لحظة
 - عموما كلها أعوام قليلة وتصبح مثله ان شاء الله
 - لكنى لن أكون وحشا فى يوم من الأيام. ثق من ذلك
- كان عماد واقعا تحت ضغط عصبى شديد بسبب أحوال السوق ، واشتعال معركة الانتخابات، واخيرا بسبب صدمته العنيفة فى سالم الذى قرر فجأة ان يتركه ويهاجر الى أجل غير مسمى ، والتي ألمته أكثر من أى شىء آخر. وبينما كان حلمى يوصيه بالاهتمام بصحته اذا به يسقط فجأة على الأرض. يشخص الطبيب حالته بأنها ذبحة صدرية. فى المستشفى تبكى نشوى بحرقة ويسألها حلمى عن سبب غياب سالم ، فتنهار صارخة:
- منه لله . هو السبب فى قهر أبيه
- حاول حلمى إثناء سالم عن عزمه على السفر ولو بصفة وقتية لحين شفاء أبيه. تغل سالم بأن تذكرته محجوزة للسفر خلال ساعات قليلة. أثار عناده غيظ حلمى الشديد من جهة ، وإعجابه الدفين بتصميمه على التثبيت بهدفه من جهة أخرى ولو كان مخطئا. قال له حلمى:
- بسيطة. نؤجل الحجز أو حتى نلغيه وأدفع لك ثمن التذكرة الجديدة
 - كنت أظنك ياعمى تفكر بطريقة عملية أكثر من ذلك
 - اطمئن على طريقة تفكيرى ، لكن هناك ظروف انسانية أقوى من كل اعتبار
 - أنا مستعد لتأجيل السفر بشرط أن تدلنى على سبب واحد لبقائى هنا دون أن أفعل شيئا مفيدا
 - لم يطالبك أحد بشىء غير وقوفك بجانب أبيك. مجرد رؤيته لك تساعد على شفائه
 - هذه مضيعة للوقت والطاقة بلا عائد
 - أنت تلغى المشاعر الانسانية بهذا الفكر البراجماتى البشع
- صرخت نشوى فى هستيرية:
- فى ستين داهية. أنا لم أعد أطيق سماع اسمه. الهى يروح ما يرجع. لا أعرف ماذا أقول لعماد الذى يسأل عنه كلما أفاق ولم يجده
 - اهدنى يا مدام..تحملنى قدرك
- انفصلت عن الواقع كما لو كانت لاتعانى من مرارته ، وقالت معاتبه حلمى:
- لا أحد يقول لأخته أو زوجة أخيه يا مدام
 - خلاص..لاداعى لهذا البكاء يا نشوى
 - تعال ندخل لعماد حتى تحكى له نكتة من نكاتك الرائعة

- 6 -

تحقق حلم عماد وفاز بعضوية مجلس الشعب. علم بالنبا على فراش المرض. لم يقو على استقبال المهنيين الذين زاروه بالمستشفى. كانت صحته فى تدهور مستمر. سأل كثيرا عن سالم. لم يصدق أكذوبة نشوى بأنه مشغول فى إنهاء أوراق سفره. عرف أنه سافر أثناء مرضه. فكر فى مشاعر الأيوه والبنوه والأمومه. تذكر مقالة علمية قرأها تفيد بأن الأبحاث الحديثة قد أثبتت خطأ المقولة السائدة بأن ارتباط الطفل بأمه أقوى من ارتباطه بأبيه. أثبتت هذه الأبحاث بالأدلة العلمية أنه على الرغم من أن أكثر الهرمونات التى تقوى العلاقة بين الأم وطفلها هو هرمون "أوكسيتوسين" المعروف باسم هرمون الترابط ، الذى تفرزه الأم بكميات كبيرة عند الولادة والرضاعة الطبيعية ، إلا أن الآباء باستطاعتهم أيضا إفراز هذا الهرمون بطريقة متساوية مع الأمهات عند التفاعل مع أطفالهم فى اللعب والحديث. وأشارت الدراسة الى أن مسألة تعلق الإبن بأحد أبويه لا ترتبط بالضرورة بالهرمونات البيولوجية بقدر ما ترتبط بقدرة أحد الوالدين على تلبية احتياجات أبنائهم وتخصيص الوقت الكافى لرعايتهم والاهتمام بهم.

حاول عماد أن يربط بين ما قرأ وبين حالة سالم الشديدة الغرابة ، فلم يتوصل الى شىء ، فهو لا يعرف ان كانت كمية الهرمونات التى أفرزها كانت كافية ليرتبط به سالم أم لا. لكنه رأى أن هذا الولد الغريب كائن يخلو من الروح، فكيفانه الباطنى غائب بما له من خصائص انسانية يفترض أن تكون فياضة بالخير والكرامة. انه يكاد يكون الوليد المريض النموذج لحضارة الغرب المادية حيث قضت النفعية على المشاعر الجميلة والعواطف الرقيقة ، رغم أنه لا يعرف شيئا يذكر عن آفات تلك الحضارة إذ عاش معززا مكرما بين أبوين متحابين متفاهمين يجمع بينهما الود والتآلف.

فى النهاية لم يملك عماد الا أن يردد بينه وبين نفسه: "لا حول ولا قوة الا بالله" ، وفى النهاية أدرك أن الموت يكون رحمة بالانسان فى كثير من الأحيان. تذكر فى حسرة مواقف عاصرها لأبناء يقبلون أيادى آبائهم وأمهاتهم ويبدلون لهم أقصى ما بطاقتهم من حنان وتعاطف. استسلم لقدره فى ألم وقد استبد به حزن عميق.

أما نشوى فقد اشتد خوفها عليه، خاصة أنه كان مصرا على القيام بجولة فى دائرته بمجرد خروجه ليحيى الناس الذين انتخبوه ويشكرهم. هى تعلم أن عماد من ذلك النوع من الناس الذين خلقهم الله وخصهم ليخدموا غيرهم. لم تكن رغبته القوية فى عضوية المجلس نابعة من حب فى الاستعلاء أو الشهرة أو الاستناد الى السلطة. يقول لنشوى وهو لم يغادر بعد فراشه انه يحلم بتحقيق كل الخدمات التى تحتاج إليها دائرته. لذلك فقد انتوى أخيرا أن يهجر عالم المقاولات ويكتفى بإيراد المحل حتى يتفرغ لنشاطه الخدمى. كما عبر لها عن رغبته الشديدة فى أن يزور معها الأراضى الحجازية ليحجا معا ويصليان أمام قبر الرسول. كانت ذروة أمانيه بعد أن تأكد من سفر سالم أن يزورانه معا فى أمريكا حين تحين الفرصة لرويته والاطمئنان على أحواله.

تعاكس رشيدة أباه وتداعبه حتى تخرجه من حالة القلق التى سيطرت عليه مؤخرا. قالت له:

- أنا أعرف سبب قلقك الأساسى
- ماهو؟
- عقدة الذكورة
- ماذا؟؟!
- لو أنجبت ولدا يتولى ادرارة ثروتك من بعدك لما أصابك هذا القلق
- والعمل؟
- ليس أمامك الا حلين: الأول هو الحبيل، والثانى هو أن تعثر لى على عريس مناسب تثق به

ضحك لدعابتها واختار الحل الأول حتى يقطع عليها الاسترسال في الهذر عن الحل الثانى الذى هو فى حقيقة الأمر منتهى حلمه ومناه. كان قاطعا فى حديثه عن مواصفات ذلك العريس من حيث الأصل والمستوى الاجتماعى. أما هى فلم تكشف له عن مواصفاتها الخاصة لهذا العريس والتي لم تكن تنطبق فى حقيقة الأمر الذى لايعلمه الا على حلمى.

حضر زيدان دون موعد. شعر بملل وزهق فجاء يدرش مع صديقه الوحيد ويهزمه فى الدومينو كالمعتاد. فرح به طاهر وكأنه تمنى حضوره. دعاه للمشاركة فى حديثه مع رشيدة عن الزوج المرتقب. تساءل زيدان فى دهشة:

- أمعقول أن تبحث رشيدة طاهر ست الحسن والجمال عن عريس؟.. المفروض أن العرسان هم الذين يجرون وراءها وهى التى تتدلل عليهم
قالت رشيدة:

- كن عمليا يا عم زيدان. افترض أن أحدا لم يجر ورائى ، هل أجرى على الفاضى؟
- لا أبدا.. أجرك على الله

وبينما هم يتسامرون اذا بأحد الخدم يعلن عن قدوم ضيف يسأل عن طاهر بك. قامت رشيدة تستطلع الأمر فإذا به حلمى. تحدث إليها بلغة رسمية شديدة التحفظ:

- طاهر بك موجود من فضلك؟

قالت - بنفس التحفظ - وهى تكتم رغبتها الطاغية فى الضحك:

- نعم. أقول له من سيادتك؟

أجاب بجدية ووقار:

- قولى له المهندس حلمى زيدان

سمع زيدان صوت مشيرة وهى تعلن عن اسم الزائر. فزع متسانلا فى دهشة:

- اسمه حلمى زيدان!!؟

سأله طاهر متعجبا:

- مابك يازيدان؟.. لم قفرت من مقعدك هكذا؟.. هل تعرفه؟

لم ينتظر حلمى. اقتحم المكان فى ثبات من خلف رشيدة. تجمد زيدان فى مقعده كما لو فقد النطق. قال طاهر لحلمى:

- أهلا يابنى.. تفضل

أخيرا نطق زيدان موزعا حيرته ودهشته بين حلمى وطاهر:

- ايه الحكاية يا حلمى؟.. لم جئت هنا؟.. هذا ابنى ياطاهر بك

رحب به طاهر ترحيبا حارا وعاتب زيدان على أنه لم يعرفه به من قبل رغم كثرة حديثه عنه. عرفه بابنته التى تمادت فى تمثيليتها بإنكار معرفة حلمى من قبل. اعتقد زيدان أن هناك مشكلة خطيرة هى التى دفعت بحلمى الى المجيء المفاجيء حتى هنا. طمأنه حلمى بأنه لا مشاكل فى البيت، لكنه تعمد المجيء لمقابلة طاهر بك بعد أن تأكد من وجوده معه.

عندما صرح حلمى لطاهر بك برغبته فى الاقتران بابنته ، فقد وضع كل من زيدان ورشيدة فى ورطة أمام الرجل الذى شعر أنه ضحية مؤامرة للأطراف الأخرى ، وأنه آخر من يعلم. سارع زيدان بتبرئة نفسه قائلا:

- الحقيقة يا طاهر بك أننى اعترضت من البداية على طلبه عندما صارحنى به

- ولم الاعتراض؟

- الفارق كبير ياباشا وحضرتك سيد العارفين

ثم مخاطبا ابنته فى لوم:

- وأنت يا ست مشيرة.. لم أخفيت عنى الحقيقة؟

- أحببت أن تكون مفاجأة لك ولعم زيدان

طلب الانفراد بحلمى حتى يعرف - على حد تعبيره - أوله من آخره.

فى المنزل عاتب زىدان ابنه على فعلته الجريئة غير المتوقعة من أحد. كان ينبغى أن يعلمه بحضوره حتى لايسبب له الحرج أمام صديقه الكبير. رغم ذلك فقد قال له:

- والله انى أحسك على جرأتك التى لم أمارسها فى حياتى مرة واحدة
- هل تذكر يا والدى يوم زعقت فيك ثريا هانم وأنا طفل؟
- يابنى أنا فى عرض النبى انس هذا اليوم الأغير
- لو نسيته لما أصبحت فى منتهى الجرأة التى تحسدنى عليها الآن
- كيف؟
- لأنى فى قرارة نفسى يومها ، رفضت موقفك وتمنيت لو قابلت العجرفة بقوة لابخضوع كما فعلت. كان من الطبيعى أن أحصن نفسى وأدعمها بالإقدام والجرأة حتى أتخلص من ذكرى هذا اليوم
- وهأنت اليوم تطلب يد ابنتها!!.. سبحان الله
- مشيرة بالنسبة لى هى ابنة طاهر بك فقط، ولا شأن لى بأمها

شعرت نشوى بشيء من الضيق عندما علمت بخطوبة حلمى المفاجئة دون أن يدعوها وعماد الى حفل الخطوبة. فسر حلمى موقفه بأنه يراعى حالة عماد الصحية المتدهورة ، واحتياجه لوجود زوجته الدائم بجانبه. فاجأته نشوى بسؤالها:

- هل تحبها يا حلمى؟
- لاداعى لهذه الأسئلة المباحثية يا أخت العريس
- أرجوك أجبنى
- ولم كل هذا الاهتمام؟!
- لأنى أكاد أجزم بالغريزة أن هذه الزيجة مجرد بند سبق التخطيط له فى جدول من جداولك

- برافو يا نشوى..الجدول الرابع
- لكن كيف تم التوافق بينكما؟
- ما الحكاية؟.. أهو تحقيق صحفى أم غريزة مباحثية أنثوية؟
- أموت وأسمع الحوار الذى دار بينكما وأنتما تتفقان على الارتباط

وقال له طاهر:

- لولا عشرتى مع والدك وحبى له لما وافقت عليك
- هذا سبب غير كاف أو مقنع للقبول أو الموافقة يا عمى
- الحق أن الأسباب كثيرة للرفض ، والقصاص التى من هذا النوع تنتهى دائما بالفشل
- وما هى الاسباب؟
- يابنى رشيدة تربت فى ظروف مختلفة كل الاختلاف عن ظروفك ، وبأسلوب مختلف، وتعودت على أشياء من الصعب جدا أن تتخلى عنها. لاتظن أن مركزك المالى القوى يكفى وحده لنجاح العلاقة بينكما. هناك اختلاف كبير فى العادات وأسلوب التفكير وفى رؤية الأشياء والناس.. على ذلك فأنا أقامر بالموافقة على هذه الزيجة اكراما لوالدك ، لكنى أحذرك
- مم تحذرنى؟
- من نفسك
- كيف؟
- هى ورقة الرهان التى لعبت عليها
- وهل تضمن المكسب سيادتك؟
- لامقامر يضمن مكسبه ، وأنا توكلت على الله ، والأيام بيننا

كسب حلمى الرهان ونجحت الزيجة بفضل ذكائه وحسن نواياه تجاه زوجته ، التى أنجبت له مع مرور الأعوام بهاء وجليلة. بدأت صحة طاهر بك فى النزول ، فلم يعد قادرا على ادارة أعماله الكثيرة فى عالم الاستيراد والتصدير. ألح كثيرا هو ورشيدة على حلمى أن يتولى ادارة أعماله نيابة عنه بعد أن أصبح بحاجة ماسة الى الراحة التامة بأمر الأطباء. أصر حلمى على الرفض مبدئيا لأسباب عديدة. وضع لصهره قائمة بالشروط التى يجب أن يوافق عليها قبل أن يقبل عرضه بإدارة أعماله. أهم هذه الشروط أن تكون الادارة من اختصاصه دون أى تدخل فى أى تعديلات يجريها بمعرفته على نظام الشركة. كما طالب بنسبة عشرة بالمائة من الأرباح بخلاف راتبه الشهري. اتفقا على أن يتسلم العمل بعد الانتهاء من صفقة العمر التى تخصه وحده، والتى كان واثقا أنها ستصل به الى الجدول الخامس.

حصل رشوان على ليسانس الآداب بتقدير جيد جدا. اتصالات حلمى بالكبار وتبادل المصالح معهم ، مكنته من تعيينه بوظيفة مترجم باحدى الهيئات الدولية المرموقة. يرى رشوان فى أخيه وفى قصة نجاحه مثلا أعلى يتمنى لو احتذى به فى حياته ، لكن زيدان كان له رأى آخر:

- أنصحك ألا تقسم حياتك مثله الى جداول بالمسطرة والقلم
- بالعكس يا أبى إن هذا الأسلوب هو أكثر ما يعجبني فيه
- اعلم يا حبيبي أن تصاعد الطموح بلا سقف ينتهى الى الطمع والشر والغدر والغرور والظلم. النجاح بلا حدود يحول الانسان الى وحش ويفقده الاحساس بالسعادة الحقيقية التى عمادها السكينة والاطمئنان.
- ألا يشعر الانسان بالسعادة حين يحقق أهدافه من الحياة ؟
- وماذا يفعل لو لم يكن النجاح مقسوما له؟..هل يعيش فى كدر وغم أبدي؟
- أرجوك يا أبى لاتدخلني فى غيبياتك عن المقسوم والمكتوب
- لاحظ يا رشوان ان حلمى قد بدأ يتغير كثيرا عما كان عليه من ألفة وبساطة
- لكنى لم ألحظ عليه علامات الطمع والغدر والغرور التى أشرت اليها
- هذه نبوءتى لمستقبله لو استمر حاله على ما هو عليه. يكفيك شر تقلبات الزمن
- يارشوان ، فهو يستطيع أن يلغى كل الجداول و"يشلفط" كل الحسابات ويغير كل الترتيبات والتخطيطات
- كيف؟
- بالمرض مثلا. بالعجز. بالخطأ فى التقدير. بخيانة صديق. بسوء الحظ. بالملل..وأخيرا بالموت!!

زيدان صديق حقيقى لأبنائه. كان غرضه من هذا الحوار أن يشرح لرشوان مفهومه للسعادة كما ينبغى أن يبحث عنها الانسان السوى، الحر بإيمانه ، لا المكبل بحساباته. يرى زيدان ان السعادة شعور ينبع من داخل الانسان. من روحه لا من خارجها. آخر ما قاله زيدان لابنه:

- يجب أن تتعلم كيف تفرح ، وكيف تحمد الله.

تعجب حلمى من نفسه كيف لم يفرح عندما فاز بالمقاوله التى كان يحلم بها ويسميها صفقة العمر. هو يعرف جيدا أن عاطفة الفرح تستثار بتحقيق الأمنيات والرغبات، وتدفع الانسان الى السعى نحو المزيد منها والمحافظة عليها. لماذا لم يفرح؟.. ربما ظلت مشاعره حبيسة ذهنه فلم يظهر أثرها على مزاجه. تلك مأساة كبرى ألا يعرف الانسان كيف يفرح ولو لأبسط الأسباب، فالذين يعرفون كيف يدخلون الفرحة على قلوبهم هم الذين كتبت لهم السعادة حقا. كان يظن أنه سوف يغنى ويرقص ويقفز فى الهواء صارخا من الفرحة لو رست عليه المناقصة التى حسمت اقتحامه للجدول الخامس ، لكنه لم يفرح ولم يعرف لماذا. هل لاعتياده النجاح أم لطمعه فى نجاح أعلى وأكبر عند حد لا حد له.

لم يشفع رصيد رشوان من الكتب التى قرأها لكى يفسر السر فى عجز أخيه – ومثله الأعلى - عن الشعور بالسعادة بعد تحقيق هدف غال وعزيز وصعب المنال ، ليس من السهل على انسان عادى أن يحققه. سخر منه قاتلا:

- أنت بنى آدم سيكوباتى معقد
- قد أكون كذلك بالفعل ، والدليل على ذلك شدة قلقى وتوترى فى انتظار الوصول الى الجدول السادس
- هل يمكن أن تخبرنى برقم جدولك النهائى الذى ستفرح وترتاح تماما حين تصل اليه؟
- المصيبة أننى لا أعرف هذا الرقم
- اذن فكلام زيدان سليم مائة بالمائة
- لاعليك من تسليم أبى أموره للقدر ، وقل لى هل فكرت فى ترك وظيفتك والعمل معى بعشرة أضعاف راتيك ، أم مازلت متشبثا بعالم الفكر والأدب؟
- اختياري نهائى يا حلمى. أنا أكره الماكينات والأجهزة والمعدات ، وأعشق الكتب والحروف والأوراق والموسيقا والأنغام.

- 7 -

اختلف الأطباء فى تشخيص المرض الخبيث الذى تمكن من عماد وألزمه الفراش لما يقرب من عام. انكمش جسده فصار أشبه بهيكل عظمى. جحظت عيناه وأصبح يلهث حين يحاول الكلام. ضاعت كل أحلامه وآماله فى العمل المهنى والسياسى وأصبح يشعر بأنه أشبه بالزائدة الدودية فى دنيا تضج بالحركة والحياة. كان حلمى يتردد عليه من حين لآخر وقد نقل الى بيته اذ لم تعد هناك جدوى من بقائه بالمستشفى، خاصة وأن بعض الأطباء صرحوا بأن الأمل ضعيف فى شفائه وأن حياته قاربت على الانتهاء خلال أشهر معدودة.

أوشكت نشوى على الانهيار بعد أن ارتبكت حياتها تماما. زوجها راقد على الفراش ينتظر الموت. ابنا وسنדהما الباقى فى الحياة هرب وتركها. لامقاولات ولا إيرادات مناسبة من المحل الذى اضطرت الى تسريح معظم عمالته. لم يراودها شعور بالتنازل عن قطرة من كرامتها حين اضطرت للجوء الى حلمى فى صراحة ووضوح:

- الحقنى يا حلمى. سبق أن وعدتني بالوقوف الى جانبي طول العمر

- حصل وسيحصل

- قل لى ماذا أفعل

بميكانيكيته السريعة انطلقت كلماته كالقذيفة:

- تستعدين للسفر !

- الى أين؟

- الى أمريكا. هناك طبيب متخصص فى مثل هذه الحالات ، توصلت اليه من خلال صديق

- وكم ستكون التكلفة؟

- التكلفة صفر مكعب، وستفرجين على أمريكا بصحبتى وتزورين سالم

خففت كلمات حلمى من آلامها ، بل انها شعرت بفرحة غامضة لم تدرى هل لأنها سترى ابنها أم لأنها ستعالج زوجها ، أم لأنها ستعيش بصحبة حلمى أياما فى أمريكا لم ترد لحظة على بالها. كانت سعادتها تتصاعد كلما أنجزت خطوة من خطوات الاستعداد للسفر ، حتى أنها وقفت تغنى أمام المرأة وهى تضع زينتها قبل السفر ، وأمامها على السراحة جواز سفرها الجديد. أما عماد فقد كان فى واد آخر ، وربما فى عالم آخر دون أن يدري بشيء من حوله.

دخلت نشوى غرفة عماد لتجهزه للسفر. كان قد فارق الحياة!.

عاشت نشوى أسوأ أيام عمرها وهى قابضة كالسجينة فى وحدتها المؤلمة بين جدران بيتها

الأربعة. قال لها حلمى بحزم قاطع:

- قومى. البسى هدومك حالا

- لم يا حلمى!؟

- ستقيمين مؤقتا عند عمك زيدان حتى تستردى صحتك وتفيقى من الصدمة

- شكرا يا حلمى. أنا قاعدة فى بيتى

- لن أتركك لهذه الوحدة القاتلة

رحبت بها حسنية من قلبها. أما هدى فقد تعلقت بها وأحببتها كثيرا. عندما عرفت نشوى أن هدى قد بلغت الثامنة عشر من العمر تعجبت كيف لم يحدثها عنها حلمى من قبل الا قليلا. فسرت لها هدى الأمر بأنه ليس لديه وقت ليتكلم مع أحد فى أى شيء لا يتضمن تخطيطا للمستقبل يتعلق بالعمل. ساعتها يسارع بإحضار ورقة وقلم ويصمم جدولا رياضيا على الفور يحدد فيه نوع الانجاز وكمه وتوقيته الزمنى.

صلى زيدان لله شكرا على أن احتوى بيته هذه الصحبة الانسانية المتحاببة المتجانسة. كان يسهر كثيرا مع نشوى يحكى لها قصصه ونوادره وأمثاله الشعبية. تنجذب نشوى بشدة الى حكاياته انجذاب شهريار لقصص شهرزاد. أما رشوان فقد وجد فيها الأخت الكبرى التى ينصت

الى ارشاداتها وأفكارها بمحبة واقتناع. اقترحت عليه الاهتمام عمليا بفن الرواية الذى يعشقه. استجاب لها بحماس كما لو كان ينتظر منها الاشارة لبدء الانطلاق فى كتابة أولى رواياته. عندما انتهى رشوان من كتابة الرواية لم يفكر الا فى حلمى ليكون أول قارئ لها. لم يتعلل حلمى بضيق وقته كما توقع رشوان ، اذ سارع باقتناص بضع ساعات التهم فيها الرواية بسرعة فائقة ثم أعطاها لنشوى حتى يكون هناك رأيان فى مستواها الفنى ، لا رأى واحد. انتظر حلمى حتى أتمت نشوى قراءتها. عبرت عن اعجابها الشديد بالأسلوب واللغة والفكرة شكلا ومضمونا رغم أنها لم تكن قارئة محترفة من قبل. انتظر رشوان رأى أخيه بفروغ صبر وقد كتم غيظه منه لإصراره على الاستماع الى رأى نشوى قبل أن يدلى برأيه. قال حلمى:

- كان لاهتمامى بقراءة روايتك هدف واحد لا ثانى له
- ماهو؟
- أن أطمئن الى وجود الموهبة بغض النظر عن أى اعتبارات أخرى وهل وجدتها؟
- أهنتك يا رشوان. مسئوليتك الآن أن تبذل ماتستطيع من جهد للاستمرار
- أنت تعرف أننى فأر قراءة. كما أن طبيعة عملى تتيح لى فرصة أكبر لقراءة النشرات الثقافية الدولية
- ولم لاتقوم بترجمة روايات أجنبية؟
- لا أريد أن أختصم من وقت الابداع ساعة واحدة
- اذن فاستعد وجهز الجدول
- أى جدول؟!..يا بشمهندس أنا متخصص فى المشاعر والأحاسيس والوجدانيات لا فى التخطيط والجدول
- لو أردت النجاح فلا مفر من وضع برنامج للقراءة وبرنامج للنشر وبرنامج للكتابة وآخر للاتصالات والسفريات. كل عنصر من هذه العناصر يلزمه جدول
- لاحظ أنك تتجاهل الحالة المزاجية والنفسية والظروف الخارجية، وكلها عوامل مؤثرة فى تحقيق كل ماذكرت. الفن أنا والعلم نحن. هذا هو الفارق الجوهرى بيننا
- كيف سيكون اتجاهك فى كتابة الرواية؟
- أنوى التخلص من عقدة الغرب الذى تأثرنا به فى العلوم والآداب والفنون لدرجة انستنا أن لدينا كنزا من التراث الشرقى العظيم فى كل هذه المجالات، هو الذى سأعترف منه مادتى الروائية مدعومة بالفلسفة والروحانيات السامية
- لاحظ أنك اقتربت من الثلاثين ولم يصدر لك كتاب واحد
- دور النشر الحكومية غارقة فى البيروقراطية والشللية
- وماذا عن دور النشر الخاصة؟
- لا يوجد الناشر الذى يغامر بماله من أجل كاتب ينشر عملا لأول مرة
- فلتطبع عمك الأول على الأقل بنفسك
- أفكر فعلا فى ذلك
- لاوقت للتفكير. هات النص ولنذهب الآن الى المطبعة

قرر حلمى قصر نشاط شركات طاهر بك على استيراد المعدات الكهربائية فقط دون غيرها ، إذ رأى فى ذلك وسيلة لزيادة الأرباح بالتركيز فى نشاط واحد والتفرغ له. لم يستشره فى قراره طبقا للشروط التى وضعها قبل توليه الادارة. لم يجد طاهر بك بدا من الموافقة والقبول بالأمر الواقع. عندما لاحظ عليه حلمى علامات ضيق واستياء تجاهل ذلك تماما ، حتى اضطر طاهر الى مصارحته بما يعتمل فى نفسه من لوم وعتاب، فأحوال رشيدة لاتسره ، ومن المؤكد أن هناك ما ينغص عليها حياتها رغم أنها لم تفصح لأبيها عن شىء ولم تلجأ اليه بأى شكوى.

- سألها حلمى:
- أنت غاضبة منى؟
 - نعم ..جدا
 - اذن فقد ارتكبت خطاين. أولا أنا لم أغضبك فى شىء فليس لك حق فى الغضب. ثانيهما أنك لم تصارحينى بسبب غضبك وقد اتفقتنا وتعودنا على الصراحة منذ تزوجنا
 - هناك أشياء تشعر بها المرأة ويمنعها كبرياؤها من التصريح بها
 - مثل ماذا؟
 - مثل عجزك عن ايجاد وقت قليل تمضيه معى ومع الأولاد كل يوم
 - أنت المسنولة ، فهذه نتيجة إحاحك على أن أتولى أعمال أبيك
 - لاتغالط يا حلمى ، فمعظم وقتك خارج العمل تقضيه فى بيت عمى زيدان
 - على فكرة: عمك زيدان هو أبى!!
 - أعرف بالطبع ، لكن زيارتك له هذه الأيام كثرت
 - الآن فهمت
 - الحمد لله.. قل لى الآن بصراحة: ماذا بينك وبين نشوى؟
 - لاتجعلى الغيرة تنسيك الواجب. نشوى مسكينة ليس هناك من يقف بجانبها فى ظروفها الصعبة غيرى، ومهما فعلت فلن أوفى جميل زوجها على رحمه الله. عماد ونشوى هما اللذان نشلانى من الفقر وغيرا مجرى حياتى..وأعتقد أن الانسان الذى ينكر الجميل لا يستحق الحياة.

- عادت نشوى الى بيتها بعد أن استعادت عافيتها النفسية. وافق زيدان على اقتراح حلمى أن تعيش معها هدى لفترة حتى لاتشعر بالوحدة فى بيتها الكبير الواسع الغرف. سعدت هدى كثيرا بأمانتها فضلا عن حسنية. ظلت مقيمة مع نشوى حتى انتقلت الى بيت الزوجية وعادت نشوى الى وحدتها من جديد. كان من الصعب أن يتردد عليها حلمى بمفرده بعد ذلك ، فذابت مضطرة فى عزلتها تجتر آلامها دون مشاركة من أحد.
- فى ظرف قهرى يختص بتجارتها ، اصطحب معه بهاء وجيليلة درءا للشكوك والأقاويل. عندما تحدثا عن مشاكلها المالية المتراكمة عرض عليها أن تبيع له المحل نظير مبلغ كبير، لو أودعته أحد البنوك تستطيع أن تعيش من عانده الشهرى عيشة كريمة.. فى البداية ترددت وفى النهاية وافقت. اطمأنت رشيدة لهذه الصفقة التى أنهت على أى سبب يصل مستقبلا بين حلمى ونشوى ، وباتت مطمئنة أن حلمى أصبح ملكا خالصا لها لاتنازعها فيه امرأة أخرى.
- سألها حلمى عن سيدة تدعى "عواطف" تتصل دائما بالشركة وتسال عن طاهر بك. قالت انها لاتعرفها وان كان أحد المقربين من أبيها قد ذكرها لها يوما بسوء ، لكنها نسيت السبب، كما أنها لاتتذكر الظروف التى عرفت فيها هذه السيدة طاهر بك.
- ما أن تأكدت ظنونه السينة بهذه السيدة حتى فاجأ رشيدة بقراره:
- أنوى فض الشركة بينى وبين والدك
 - لم قررت هذا فجأة؟
 - لأنها تستهلك معظم وقتى وجهدى ولم أعد بحاجة الى عائدها ، كما أنى أريد أن ألبى لك رغبتك بالتواجد معك ومع الأولاد
 - أشعر أن هناك سببا آخر لم تعلنه بعد
- حذرت رشيدة والدها من عواقب علاقته الغريبة بهذه السيدة التى هبطت على حياته ببراشوت من سماء عالم مظلّم مريب، فى الوقت الذى بدأت أعراض الشيخوخة تحدث مفعولها فى عقله ، إذ بدأ توازنه النفسى والوجدانى فى الاهتزاز. قالت له رشيدة:
- غير معقول يا أبى. لقد تجاوزت السبعين

- ولو تجاوزت المائة. هذه حياتى وأنا حر فيها. لم تنعمين أنت بزواجك بينما أعانى أنا من الوحدة؟!
 - بصراحة يا بابا أنا أخاف من هذه السيدة
 - أنت تخافين منها ، وأنا أحبها وسوف أتزوجها. ما سبب هذا الخوف؟
 - هى وأقرباؤها يدسون انوفهم فى شؤون الشركة منذ ألحقتهم للعمل بها ، كما لو كانوا أصحاب حق فيها
 - وما فائدة وجود حلمى إذن؟
 - حلمى قرف منهم وينوى فض شراكته معك بسببهم!
 - فليفعل ما يريد ، وأنا سأعين مكانه توفيق ابن عواطف فى نفس اليوم

- تنساب دموع عواطف بغزارة فى حضرة طاهر بك الهائم فى غرامها. تعبر له عن حزنها الشديد على فراق زوجها الذى مات فى السجن. يواسيها بصدق ساذج:
 - لاتحزنى لهذه الدرجة يا عواطف. ما أروع اخلاصك
 - العشرة لاتهون الا على اولاد الحرام ياباشا
 - لو كنت مكانك لفرحت له، اذ ارتاح من عذاب السجن وظلمته
 - الله يرحمه شريف ، كان سىء الحظ
 - أنا أرى العكس اذ تزوج من امرأة لديها كل هذا الحنان
 - لم يكن أول من اقترض من البنك وعجز عن التسديد. كثيرون غيره فعلوا هذا ولم يسجنوا
 - خلى الطابق مستور يا عواطف. ألا تعرفين ماذا فعل قبل أن يقبض عليه؟
 - وحياتك عندي لا أعرف ولا أريد أن أعرف ، فلا تجوز عليه الآن الا الرحمة
 - وما أخبار توفيق؟
 - طول النهار بالنادى وبالليل سهران مع أصحابه
 - لم لم يكمل تعليمه؟
 - والده الله يرحمه هو الذى أفسده بالدلع الزائد حتى طرد من كلية الهندسة وهو فى السنة الثالثة
 - لاحول ولا قوة الا بالله. كان سيتخرج بعد عامين
 - نعم ، وعملنا المستحيل، وجئنا بوساطات كبيرة لإلغاء مجلس التأديب دون جدوى
 - لاتقلقى بشأنه. سأعينه عندي
 - ربنا يخليك يا أصيل
 - ولكن متى تضيئين حياتى بنورك؟
 - وقتما تريد ولو من الآن. أنا محكوم لى بالطلاق من سنة

- حذر حلمى رشيدة من ضياع ثروة أبيها وشقاء عمره على عائلة من النصابين وخريجي السجن. أكد لها أنه أصبح بالفعل شيخا مخرفا لا يدرى ماذا يفعل وقد أكلت هذه المرأة عقله. كثير من الشيوخ يصابون فى هذه المرحلة من العمر بحالة من النكوص. يود الواحد منهم أن يعود الى الوراء فيعيش حياته من جديد ويعوض كل ما فات منه من ملذات فى حياته المنصرمة. لايعبأ حينئذ بالكوارث المحتملة التى يوشك أن يوقع بنفسه فى مجاهلها ، وعلى رأسها كارثة المرأة، خاصة لو لم يكن قد عاش فى حياته تجربة حب أشبعت عواطفه ومشاعره. انه لكى يحقق ذلك بعد كل هذا العمر لعلى استعداد أن يبذل ماله ووقته وحياته ولو تسبب فى شقاء كل من يحيط به من أهل وأبناء وأحباء.
- لم تجد رشيدة مخرجا من هذا المأزق غير أن تباع الشركة بجميع فروعها لحلمى ، فكلها مكتوبة باسمها منذ وفاة أمها. أعجبتة الفكرة، لكنه رفض قبولها بغير علم طاهر بك

وموافقته. رغم ذلك فقد صرح لأخيه رشوان بأن شراء هذه الشركة الكبرى سيقفز به الى الجدول العاشر دفعة واحدة ، وربما زاد عن ذلك.

بدأ حلمي يتخذ استعداداته ويرتب شئونه بحيث يفض الشراكة دون مشاكل. وبينما كان يللم أوراقه الخاصة من مكتبه، اذا بتوفيق الشريف يفاجئه بزيارة غير منتظرة. عندما شاهد حلمي في مكتبه الناطق بالأبهة والعظمة راحت مشاعره تموج في خليط من الدهشة والحقد والغيرة. رغم ذلك فقد راح يشكو لحلمي افلاس أسرته بعد القبض على أبيه بتهمة مالية جسيمة. حاول نفاقه بالحديث عن أيام الجامعة وذكرياتها. شعر حلمي بنفور شديد من كذبه ولزوجته وانتهازيته. قال ان طاهر بك وعده بشغل ووظيفة بالشركة. قال حلمي انه يعلم ذلك وأنه سوف يرتب له عملا مناسباً خلال أيام قليلة. شكره بتوفيق وراح يعيد الحديث عن أيام زمان ، فقال له حلمي انه مازال يذكرها ولا يمكن أن ينساها حتى يموت!. كان كل منهما يحتفظ في قلبه بما يكنه من مشاعر تجاه الآخر.

سألته حسنية ماذا سيفعل بهذا "الجدع". ذكرها بموقف الكافتريا القديم ، قانلا انه رغم رفضه الشديد لهذه الشخصية المقيتة الا أنه لم يشعر تجاهه بالشماتة بعد أن انعكست الأوضاع وصار كل منهما الى ما صار اليه.

- ما أخبار عروستنا هدى؟
 - كل خير يابنى.
 - ما رأيك لو زوجناك من عريس لقطه؟!
 - ياتدامتى!!
 - زيدان أصبح كهنة وأنت مازلت في عز شبابك
 - ياواد اختشى والا قلت له
- لفت نظره أن زيدان لم يعد يزور طاهر بك الا نادرا. سألها عن السبب فعرف أن مجلسه لم يعد يروق لزيدان بعد أن بدأ يخرف في سلوكه وكلامه. سيطرت عليه فكرة انه ينبغي أن يعيش حياته من جديد ، وان تشاركه أنيسة يحبها تلك الحياة الجديدة الحافلة بالحب والمسرات. عندما أصبح طاهر أسيرا لتلك الأفكار لم يعد يبالي بأى شىء آخر. قال لرشيده حين عرضت عليه فيما يشبه الانذار فكرة بيع الشركة لحلمي:
- طظ فيك وفي حلمي وفي الشركة. اعملوا ماتريدون. أنا لم أحصل على شىء يسعدنى فى حياتى رغم كل ما بذلته فيها من جهد ومعاناة وعناء.
- حاولت رشيدة اقناعه بأن تتنازل له عن الشركة والعمارات والأراضى وكل ما كتبه باسمها من قبل ، شريطة ألا يتزوج من عواطف. رفض معاندا بقوة. كان على يقين من أن حلمي ابن السائق الأجير هو الذى أوحى اليها بهذه الفكرة حتى يسرقه بالقانون. تلك عنده طبيعة أصحاب الأصول الوضيعة حسب مفهومه، وهذا ما كان يخشاه قبل أن يقبل بزواجه من ابنته. ندم على أنه كتب لها كل ممتلكاته ، مثلما ندم على تزويجها من ابن سانقه الخاص. حاولت رشيدة أن توضح له أن الأيام كفيلة بإثبات سوء ظنه بحلمي. صاح فى وجهها:
- بل أثبتت لى الأيام شينا واحدا، هو أننى رجل حمار.

- سألته عواطف فى لهفة:
- هاه. كيف كانت مقابلة حلمي لك؟
- الشحات الجربان أصبح رجل أعمال بحق
- المهم متى يسلمك العمل؟
- حضرته "لطعنى" وقتا طويلا عند السكرتيرة ، ثم طلب منى مهلة زمنية قصيرة حتى يرتب لى وظيفة. تصورى يا أمى!!..عاملنى كما لو كنت سأشتغل ساعيا فى مفاعل ذرى يمتلكه أبوه الشوفير
- ليس أمامك الا الصبر والتحمل

- أنا واثق أنني لن أستطيع أن أعمل عند هذا الجربوع
- أنت لن تعمل عنده يا عبيط. انها شركة طاهر بك ، والتي ستكون شركتنا خلال وقت قصير

ألغى حلمي تعاقده مع طاهر وترك الشركة. فرعت رشيدة حين تأكدت من عزم أبيها أن يعقد قرانه على عواطف بعد أسبوع. رفض حلمي التفاوض معه على شراء الشركة من رشيدة. نصحتها أن تعرضه على طبيب نفسى ، ربما استطاع أن يعالج حالته. لم تجد شهيرة فى النهاية غير حل واحد ، هو أن تتولى بنفسها ادارة الشركة.

سأل حلمي أخاه عن أخبار الكتاب الجديد ، فقال رشوان ان لديه فى هذه الأيام ما هو أهم بكثير من الكتاب ، اذ تعرف على فتاة بولندية ملأت عليه حياته بالفكر والفن والثقافة. تعجب حلمي من هذه الازدواجية فى التفكير، فرشوان يكره الغرب كراهية بها مبالغة، فكيف ينجذب بسهولة الى فتاة من الغرب الذى يكرهه ، ويقول انها ملأت عليه حياته.

حكى له رشوان قصة لقائه ب"فيولا" فى أحد موالد سيدنا الحسين. كان مارا بالصدفة فلفت نظره جمال صوت المنشد الذى يتغنى فى حب الرسول. لم يكن خلفه سوى عازف عود وعازف ربابة وعازف ناي وضابط ايقاع. لا أوج ولا كمان ولا أوكورديون. آلات بسيطة لكن تأثيرها الوجدانى على المستمع له سحر خاص. وجد رشوان نفسه يجلس ضمن المستمعين الى الانشاد الدينى البديع وهو فى حالة من النشوة الصافية التى لم يشعر بمثلا من قبل. فجأة دخلت "الشادر" فتاة أوروبية فائقة الجمال ترتدى زيا شديد البساطة وتعلق على كنفها حقيبة قماشية شعبية رخيصة وتمسك بيدها كتابا. تأمل غلاف الكتاب خلصة فوجد عنوانه مكتوبا بالعربية عن حضارة مصر القديمة. وقفت فيولا منتشية ترقب وتسمع وهى فى حالة من السعادة والفرحة بدأت تهتز قليلا الى اليمين واليسار، ثم وضعت حقيبتها وكتابها على أحد المقاعد وراحت تتمايل بكل كيانها ذات اليمين وذات اليسار مع ايقاع الموسيقى والغناء ووجهها يفيض بالفرحة. بعد زمن قليل كانت قد ذابت فى المجموع وكأن جسدها قد تلاشى وذهب عنها، وكذلك عقلها ، فلم تبق لديها الا روحها التى تصاعدت متسامية الى أعلى الآفاق وهى تصاحب المداح فى غنائه منسدة بعربية صحيحة:

قلوب العارفين لها عيون/ ترى مالا يراه الناظرون

وأجنحة تطير بغير ريش/ الى ملكوت رب العالمين

لم يتردد رشوان فى الاقتراب منها ، منتظرا أن تنتهى من حالتها ليتعرف على شخصها الملفت. طال انتظاره وهى مستغرقة فى ذكرها العلوى الغامض دون أن تشعر بوجوده. فى النهاية لم يدر بنفسه الا وهو يشاطرها بروحه واهتزاز جسده الصعود الى عالم الملكوت.

طالبة مبعوثة تدرس فى الأزهر. تعشق مصر وكل ما هو مصرى. تعيش فى حى شعبي يعرفها فيه كل السكان ويحبونها. منذ ذلك اليوم أصبحت فيولا رفيقة عمره ،الا أن ما كان بينهما من توافق فكرى وروحانى لم يتجاوز حدود المحبة فى الله، اذ لم يشعر لحظة تجاهها كما يشعر ذكر تجاه أنثى. حتى بعد أن أنهت دراستها وعادت الى بولنده ظل التواصل الكتابى والالكترونى بينهما. أما خطيبته هالة فقد كان عجبيا أن أحببتها هى الأخرى ، ربما بقدر حبه لها دون أن تشعر بالغيرة منها على رجلها.

بعد مرور ما يقرب من عشرين عاما على زواج نشوى من عماد ، يظهر جلال الفوال في حياتها من جديد. كان يتمنى دائما أن يراها، لكنها لم تشجعه يوما على زيارتها رغم أنه ابن خالتها ، وأنه من الطبيعي أن يكون مقربا منها خاصة وأن العائلة صغيرة. خلال فترة اختفائه تزوج من صديقة لها تدعى سلوى ، لكنها لم تعمر معه بسبب اختلاف تفكيرهما وعدم قدرتهما على التفاهم المشترك . طلقها وراح يحلم من جديد فى الارتباط بابنة خالته الحبيبة القديمة الذى ظلت قابعة فى حنايا قلبه ، عندما علم بترملها.

جاء يخطب ودها من جديد ، فكانت اجابتها أن الزواج قسمة ونصيب ، وأنها ليست على استعداد للزواج مرة ثانية وقد شارفت على الخمسين. كل ما كانت تفكر فيه بعد أن باعت المحل لحلمى هو أن تهجر الى أمريكا لتعيش هناك مع ابنها سالم ، خاصة بعد أن بلغها أنه يعيش ظروفًا شديدة الصعوبة هناك. تبين أن شروط المنحة التى اعتمد عليها لاتنطبق عليه. بذلك يكون قد فقد مصدر التمويل المالى الرئيسى الذى اعتمد عليه قبل سفره دون أن يدرسه بعناية.

حاول جلال اقتناعها بأنه من الممكن أن يبدأ معا حياة جديدة، وأن يشاركها نشاطها التجارى ويكملان المسيرة معا. شكرته على نبيل مشاعره وأكدت له على أنها منذ وفاة عماد لم تعد ترغب فى ممارسة أى نشاط تجارى مرة أخرى.

حكى نشوى لحلمى ما كان من أمر جلال. استنكر موقفها من رجل يحبها ويرغب فى إسعادها وملء فراغ حياتها الكئيبة الموحشة، خاصة وأنه يمتلك ميزات عديدة ، فهو غير متزوج كما أنه قريبها ، وقبل ذلك كله فهو يحبها ، فضلا عن أن مركزه المالى لا بأس به. رأى حلمى فيه فرصة نادرة لا تتكرر ، تمنحها الحياة لنشوى لكنها تستهين بها. رجاها أن تعيد التفكير فى قرارها بعدم الزواج مرة ثانية ، وأن تحمد الله الذى أظهر لها رجلا مازال يحبها ويتمناها بعد عشرين عاما من الغربة. وعدته بأنها قد تعيد التفكير فى قرارها، لكن رغبة خفية بنفسها كانت ترفض موقف حلمى وحماسه لجلال بغير أن تعرف السبب.

فى أمريكا كانت حالة سالم لاتسر عدوا ولا حبيبا. كل أصدقائه كانوا كذابين. لم يساعده منهم أحد. تحولوا الى كائنات مادية متوحشة منذ هاجروا من مصر. الفلسفة البراجماتية التى تسود أمريكا أفسدت أرواحهم وجعلتهم أشبه بالكائنات الروبوتية، بينما الشعب الأمريكى فى غالبيته ليس على هذه الشاكلة ، ففهمه أو ممارسته للبراجماتية مختلف عن فهم الشرقيين لها . البراجماتية عند الأمريكان هى ألا يعترف أحد بفكرة مالم تكن حقيقية ،وهى لن تكون حقيقية ما لم تكن مفيدة ونافعة لصاحبها دون اعتبارات أخرى. ولا يعنى هذا عندهم الاعتداء على حريات الآخرين أو حقوقهم. المسألة تقتصر على المنفعة الذاتية فحسب. أهل الشرق يرون فى هذه الفلسفة أنانية ورجسية وتجاهل للآخر فى سبيل تحقيق المنفعة الشخصية ، ورغم ذلك يسقطون فى شباكها.

راح سالم يتسول وظيفة حقيرة كعامل فى أحد البارات عند الخواجة اليونانى أنطون. أخبره أنه مهدد بالنوم فى الشارع لو لم يدفع ايجار شقته الذى تراكم عليه. عاش أنطون من قبل فى مصر تسع سنوات ولم يغادرها الا لظروف قهرية لما لم يعجبه حال سالم ردد أمامه المثل الشعبى القائل:

- من خرج من داره قل مقداره

ثم نصحه بالتمزام الحذر وعدم الخروج على القانون، والا فلن يرحمه أحد، فأمرىكا شىء ومصر شىء آخر. عندما وصلت نشوى أخباره من خلال أحد المعارف بأمرىكا لم يكن أمامها الا البكاء.

جلست رشيدة على مقعد رئيس مجلس ادارة الشركة. كان من أوائل من طلبوا مقابلتها توفيق شريف. حقيقة الأمر أنه جاء لمقابلة حلمى لا رشيدة، لكنه فوجيء بالأمر الواقع فطلب مقابلتها. لو علمت أمه بالأمر لأخبرته مقدما ، لكن رشيدة فاجأت الجميع بالتوجه الى الشركة وتولى قيادتها. عاملته رشيدة بجفاء وغلظة حتى أنه ارتبك فى حديثه ولم يستطع تحديد سبب طلب المقابلة. اضطر الى أن يقول انه جاء للقاء صديق طفولته وزميله الجامعى القديم. طلبت رشيدة من السكرتيرة أن تعطيه أرقام تليفونات حلمى وطردهته بأسلوب مهذب، فخرج غارقا فى عرقه.

انفجر حلمى فى الضحك عندما روت له رشيدة قصة تعاملها مع توفيق. قال لها:

- والله برافو. الموهبة الادارية كانت كامنة فيك ولم أكتشفها
- لو رأيت لون وجهه لتعجبت من كمية الحقد التى تملأ قلبه تجاهنا
- عظيم.. توفيق وقد نجحت فى أن تربكيه وتفقدية النطق. أرىنى ماذا ستفعلين مع أمه

بهدوء وثقة قالت عواطف لتوفيق الذى كان يتميز غيظا:

- لايهمك يا حبيبي. العبرة بمن يضحك أخيرا
- لكنهم يقولون انها صاحبة الشركة وليست مديرتها فقط
- المال مال أبيها. كل ما عليك أن تصبر قليلا وسيكون كل شىء لنا
- ألم تلتقى بها من قبل؟
- كنت أراها أحيانا فى النادي ، لكننا لم نتعارف
- أنا متشائم من هذا المكان وكاره لكل من فيه. ليتنى أهاجر من البلد الى الخارج
- وماذا ستفعل هناك يافالح وأنت لم تحصل حتى على البكالوريوس، أم أنك حصلت على الدكتوراه دون أن ندرى؟!.. أسكت أحسن

طرق سالم باب منزل أنطون فى ساعة متأخرة من الليل بعد أن طردته صاحبة البيت ولم يجد مكانا يبيت فيه. استسمحه أن ينام عنده ليلة واحدة ، على أن يجد لنفسه حلا فى الصباح. كان يعلم أن زوجة أنطون وابنه سافرا الى اليونان ، وأنه وحيد بالشقة. اعتذر له أنطون عن عدم موافقته لأن لديه صديقة بالداخل، وأغلق من فوره الباب فى وجهه بهدوء وأدب!. نزل سالم يهتمهم لنفسه منفسا عن غضبه العارم:

- آه يا نذل يا جبان. تقفل الباب فى وجهى! باردون! ليتك سعيدة! آه يابن الكلب. وأين سائام ودرجة الحرارة تحت الصفر والبوليس منتشر فى كل مكان. لو قبضوا على سيرحلوننى الى مصر.

عندما يئس جلال من أمر نشوى قرر العودة الى مهجره بأمريكا. لم يعد هناك شىء يربطه بمصر. بقاؤه بها يجعل جرحه نازفا الى الأبد. ذهب الى نشوى يودعها ويسألها ان كانت تريد أن توصل شيئا لسالم أو أن تبلغه بشىء. فوجنت نشوى بقراره بالسفر خلال أربع وعشرين ساعة. سألته فى رجاء أن يؤجل سفره أسبوعا واحدا حتى تعد أوراقها لتسافر بصحبته الى سالم رغم علمها بأن ظروف ابنها السيئة لاتسمح بمعيشتها معه. كانت واثقة أنها ستنجح فى إقناع سالم بالعودة معها الى مصر بعد أن أصبح مضطرا لذلك.

سيطرت فكرة جنونية جديدة على عقل حلمى ، إذ غامر بشراء كميات رهيبه من معدات خاصة بكل ما يملك من أرصدة مالية، على أمل أن تتضاعف أسعارها فى خلال أيام ثلاثة كما علم من صديق له فى السلطة العليا. ثارت عليه رشيدة وحذرت من الافلاس لو لم تصدق معلومة صديقه. لم تنتظر عودته الى المنزل ، وإنما خاطبته تلفونيا لتتقذه من الوقوع فى فخ هذه المغامرة غير المضمونة. قال ان نجاحه فى هذه الصفقة سيصل به الى

الجدول الأخير ويصبح مليونيرا من كبار رجال الأعمال. أمام عناده وتصميمه أصرت على رؤيته على الفور .

- أهلا بك. اخطفى ساعة من وقتك وتعالى الى مكتبي
- سأحضر حالا

قال بنبرة ساخرة:

- ليتك تمرين على البيت لأن بهاء وجيليلة يقولان إنك أوحشتيهما جدا!
- في البيت كان بهاء فى جدل ساخر مع جلييلة. قال لها ساخطا:
- الأرز محروق واللحم نيء
- هذه قدراتي ، ولو لم يعجبك طهيى انزل وكل من أى مطعم
- على مهلك على يا حبيبتي. أنا مالى غيرك يا اختى
- خلاص . لاداعى لنقدك الدائم لطعامى ثم تأكله بعد ذلك
- أنا معذور. ماما لم تدخل المطبخ منذ أسبوع
- وبابا لم يدخل البيت منذ أسبوع هو الآخر
- الحل أن يحضرا لنا طباخا
- همك على بطنك دائما يا بهاء
- وماذا بيدى أن أفعل إن كنت لا أرى ولا أسمع ولا أفهم عندما أكون جائعا؟
- أصبحت حياتهما عمل فى عمل ونسيا أن لهما ولد وبنيت من صلبهما
- العجيبة أننا حين نشتكى يكون ردهما دائما انهما لا يفعلان ذلك الا من أجلنا
- وما العمل يا بهاء؟
- ليس أمامنا الا أن نعتصم حتى نلقت نظرهما الى وجودنا على قيد الحياة
- وكيف يكون هذا الاعتصام ان شاء الله؟
- أول شىء ألا نذهب الى كلياتنا، والثانى ألا نأكل ولا لقمة واحدة
- بذمتك هل ستقدر على الثانى؟
- طبعا أقدر
- وحياتك لو شممت رائحة شواء لحم عند الجيران لاستسلمت بعد دقيقة

تكدست مخازن شركة حلمى بماكينات الديزل والمولدات وأجهزة الحريق والطوارئ وغرف العمليات ، فى انتظار قفزة العمر بمجرد رفع الأسعار. قلب حلمى من حديد. لم يعبا بتحذيرات رشيدة. قال انه حتى لو أفلس فسوف يمكنه أن يبدأ من جديد.

استغرق العمل كل وقت رشيدة وأنهكها. أصبحت تشكو من ارتباك حياتها التى أصبحت بلا طعام ولا هدف. عاودت عرضها ببيع الشركة لحلمى حتى تتفرغ لرعاية الأولاد وتستريح من الأعباء التى أجهدت قواها الذهنية والبدنية.

خلال تحاورهما فوجنا ببهاء وجيليلة يدخلان عليهما المكتب. فرعت رشيدة خشية أن يكون مكروه قد ألم بهما. طمأنها بهاء قائلا:

- والله لقيناكم أوحشتمانا قلنا نجىء لزيارتكما
- وقالت جلييلة بنفس النبرة المرححة الساخرة:

- اذا كان عندكما مانع فنحن مستعدان للانصراف

كان حلمى - فى قرارة نفسه - معجبا بنجاحهما فى مواجهته هو ورشيدة بالخبيبة القوية التى تسببا فيها للأسرة بتجاهلها لأولادها. ازدادت سخونة الجدل بين الزوجين وألقى كل منهما باللوم على الآخر ، حين فاجأهما بهاء بقوله انه جوعان رغم كل الفلوس التى يمتلكها والديه. اقترح حلمى على رشيدة أن تترك الشركة لأبيها وتريح نفسها بصفة قطعية.

- لو تركتها له ستؤول فى النهاية الى عواطف وابنها الأفاق وعصابتها التى تغلغت بخبث فى الشركة.

فوجيء الجميع بدخول طاهر بك وعلى وجهه علامات الجدية ، كما لو كان قد اتخذ قرارا هاما
حضر لتنفيذه على الفور. صاحت جلييلة:

- أهلا يا جدو. أحسن شيء أن نتكلم أمامه عن أمورنا بكل صراحة
قال طاهر بصرامة :

- أنا الذى سيتكلم يا جلييلة

بينما كان حلمى يرحب بصهره صاح بهاء متوجعا:

- يا ناس أنا جوعان

قال له حلمى:

- اصبر قليلا.سنذهب جميعا لتناول الغداء فى أقرب مطعم ونتكلم هناك

اعتذر طاهر عن عدم الذهاب معهم قائلا فى حزم واضح انه جاء ليتسلم الشركة من رشيدة
على أن تعود لبيتها وأولادها ، وتترك له ادارة شركته بنفسه كما كان الحال قبل أن يسلمها الى
حلمى.

صاحت رشيدة بانفعال فى وجه أبيها:

- آه.. هذه بالطبع تعليمات عواطف هانم والمحروس ابنها الفاشل

ارتعشت عضلات وجه طاهر وتناثر الزبد من فمه وهو يصرخ فى وجهها:

- اخرسى ياقليلة الأدب. أنا لولا احترامى لزوجك وأولادك لضربتك الآن بحدائى على
وجهك

- مادام الأمر كذلك ، فأنا لن أتنازل عن حقى وحق أولادى، فالشركة وكل الممتلكات
مازالت جميعها باسمى

- لا بد أنك جننت. أنا صاحب كل هذه الأموال وأنا الذى كتبتها لك

- أعرف ذلك. لكنها ستظل فى ملكيتى بموجب عقود البيع القانونية المشهورة

داهمته أزمة قلبية. راح يلهث وينهج وقد تجمد فى مكانه لشدة ذهوله ، محاولا التنفس دون
جدوى ، حتى سقط على الأرض مغشيا عليه. قال بهاء بلامبالاة:

- جوعان

نهره أبوه بشدة وانهمك فى فحص نبض صهره الذى كان قد فارق الحياة.

- 9 -

أصر سالم على عناده. قال لأمه انه لن يعود الى مصر حتى لو اضطر الى التسول في شوارع أمريكا. استنكر عواطفها الشرقية - التي يعتبرها عواطف مريضة - كأم يوجعها قلبها على حال ابنها المغترب الذي لم يوفق في شيء منذ غادر وطنه. رفض أن يقبل منها أية مساعدة من أي نوع وبأى شكل كما لو كانت عدوة له. هو نفسه لا يستطيع تفسير السبب في ذلك. حاول جلال أن يتوسط بينهما ، موضحا لسالم حرج موقفه وسوء حالته المالية ووضع غير القانوني في البلاد ، لكنه لم يوفق. قررت نشوى العودة الى مصر بلا تردد بعد موقف ابنها العدائي غير المبرر منها. حاول جلال استمالتها من جديد لفكرة الزواج وبدء حياة جديدة معه، لكنها فضلت أن تملأ حياتها بالعمل كموظفة بشركة حلمي. مجرد تفكيرها في أن تبتعد عن حلمي كان يصيبها بحالة من الخوف وعدم الطمأنينة.

في الليل يتسامر الصديقان بهاء وجيليلة في غياب الأبوين الدائم. يبث كل منهما شكواه للآخر من ازدياد سوء حال الأسرة بعد وفاة الجد. الأب في طنطا لدواعي العمل ، والأم في أسوان لدواعي العمل. لم يعد بهاء يرجع الى البيت قبل منتصف الليل. عندما كثر الكلام عن المال والميراث بعد وفاة طاهر بك، أفضى بهاء الى جليليلة بفكرة تشغل باله ، ويبدو أنه كان تحت تأثير مخدر ما. قال ان حاصل جمع ثروة الوالدين والجد هو رقم مخيف، فما الداعي لوجع الدماغ والمذاكرة والمحاضرات والامتحانات مادام المستقبل مضمونا بكل تأكيد بغير جهد أو عناء. بدأت جليليلة في القلق على أخيها وراحت تحذره من أصدقاء السوء الذين يصاحبهم هذه الأيام.

عاود القلق رشيدة من جديد عندما علمت بعودة نشوى المفاجئة من أمريكا بدون ابنها من جهة ، ومن جهة أخرى لأن نشوى طلبت أن تعمل كموظفة عند حلمي لتتغل فراغها - كما تدعى - وتقتل وحدتها في غياب الزوج والابن.

كانت نشوى في دهشة شديدة من سلوك سالم الشاذ تجاهها كما لو لم يكن ابنها. استبد بها اليأس حين انفصل عنها تماما بعواطفه ومشاعره وكل كيانه ، وأصبح لا يطيق سماع كلمة منها خاصة لو ارتبطت بمصر أو العودة اليها. حاول حلمي التخفيف عن خيبة أملها في ابنها الوحيد بقوله ان معظم شباب هذا الجيل يستنكفون الاستماع الى ارشادات الآباء والأمهات ، وليس ابنها وحده. استبعدت أن يكون ابنه بهاء على نفس الشاكلة ، فقال انه لا يدري عنه شيئا لأنه لا يراه الا قليلا. نصحته ساخرة بأن يضعه في جداوله حتى ينال بعضا من رعايته ولا يفلت منه زمام توجيهه الى السبيل الصحيح.

ضمها حلمي بصفة مبدئية الى طاقم سكرتاريته الخاصة دون أن يعبا بتصاعد غيرة زوجته عليه منها حتى وصلت الى الذروة. لكنها كتمت هذه الغيرة ولم تظهرها فأصبحت كقنبلة موقوتة لا مفر من انفجارها في زمن ما.

جاء الفرج لحلمي ونجحت مغامرته المالية الخطيرة. أصبح قادرا على بيع بضاعته بالسعر الجديد. لم يفكر فيما اذا كان ذلك يمس فكرة تمسكه بالشرف أم لا ، فهذا هو شأن التجارة في الدنيا كلها ، والتجارة شطارة كما يقولون . بعد ساعات قليلة تتضاعف ملايينه وينضم الى صفوف كبار رجال المال. كانت نشوى بمكتبه ساعة تلقيه النبا السعيد. صاح في فرحة هستيرية:

- نجحت ضربة العمر يا نشوى

وفى غمرة نشوته بالانتصار عائق نشوى وقبلها في وجنتيها وهي في حالة ذهول غشيتها فرحة غامضة مكتومة.

- من اليوم لا جداول. لا تخطيط. لا عمل

قالت وهى غارقة فى حياها دون أن يلحظ تفجر الدم فى وجنتيها:

- لا أصدق أنك ستهجر العمل يوما
- أريد أن أعيش حياتى. أعيش لنفسى. أتفسح. أستريح. أقرأ رواية أو ديوان شعر.
- أسمع موسيقا. أشاهد فيلما سينمائيا. أدخل المسرح. أغنى فى الشارع. أسافر. أتفرج على الدنيا كسائح لا كرجل أعمال يسعى الى تكديس أمواله فى البنوك. أجلس فى حديقة عامة. أشم وردة. أسبح عاريا فى البحر. أصطاد السمك. أقود زورقا بخاريا فى عرض البحر.
- يبدو أن مفعول الملايين لعب برأسك
- هذا ما لا أرفضه. سأفعل ما عجز طاهر بك عن فعله قبل أن أموت مثله بصدمة من صدمات الحياة.

بدأ حلمى يذوق طعم الهدوء والاسترخاء. اندهش لذلك ، فهو يعلم كم هى طاقته جهنمية متفجرة ، ديناميكية لا تعرف السكون. لم يكن على ثقة تامة من إمكانية دوام هذه السكينة النفسية الى الأبد. أما رشيدة فقد كانت فى غاية من السعادة بقراره أن يترك العمل ليديره الموظفون ويتفرغ هو لحياته وحياة أسرته. لم تستوعب أن العائلة ليست فى حسابانه بالقدر الذى تصورته. الذى كان فى حسابانه فقط هو حلمى زيدان نفسه ولا أحد غيره. غير أنها راحت تعد العدة لإعادة ترتيب حياتها معه من جديد. ضحك من كلامها لأنه نجح تقريبا فى كل شىء عدا ذلك الترتيب. واجهت ضحكة بقولها بنبرة يائسة:

- أنت لم تحبنى فى يوم من الأيام. لم تحب الا طموحك وجداولك
- استوعب الصدمة ، لكنه كان مصرا على البحث عن حل لهذه المسألة.
- لنفترض أن كلامك صحيح. ماذا يمكن أن نفعل الآن لتصحيح الوضع؟
- قل أنت . أنا تحت أمرك
- صفى الشركة وتفرغى لحياتك العائلية
- وأنت ماذا ستقدم من جانبك؟
- لا شأن لك بى. إنسى أن هناك بنى آدم اسمه حلمى زيدان
- يعنى ايه؟!.. وضح لى أرجوك
- أنا بصراحة ينقصنى أوكسيجين. أريد أن أتففس قليلا قبل أن أعود اليكم. أظن أن هذا من حقى
- وياترى أين ستبحث عن هذا الأوكسيجين؟
- لو كنت أعرف لقلت لك. يكفينى عذاب ضميرى بسبب أولادى. أنا لم أعد أعرف عنهما شيئا. أعترف أن علاقتى بهما فاشلة
- أنت المسئول
- لست وحدى ، ولن نكرر هذا الجدل عديم الجدوى
- تريد أن تحملنى مسئوليتهما وتهرب
- تماما. هذا ما أريده فعلا. لكنى سأعود يوما
- والله تشكر على تنازلك.. لكن لم تقل لى الى أين الهروب؟
- أقسم لك اننى لأعرف. ارحمىنى يارشيده. أنا تعبان

تلقى رشوان توبيخا من حلمى على مثاليته وبطء حركته فى الحياة ، وتحليقه فى عالم الأحلام مع رفيقته الروحانية البولندية. قال له انه سيظل طول عمره "مهلك سر" ، وانه لن يفلح فى الأدب، ولا فى الحب ، ولا فى أى شىء لو سارت حياته بهذا الايقاع الهادىء المتزن. اتهمه بالمثالية العاجزة. دلل على قوله بأن النقاد لم يهتموا بروايته رغم أنها جيدة ، وانه لم يدع

فتاته المفضلة هالة الى تناول الغداء مرة ، ولم يقل لها: "أحبك. أموت فيك. لا أقدر أن أستغنى عنك". دافع رشوان عن نفسه بالصمت. عاجله حلمى بسيل من الأفكار المنطلقة كالقذائف:

- تلتقى بالنقاد. تهديهم نسخا من روايتك. تجاملهم. سيمجدون فى عملك. الجمهور لن يعرفك بدون أن يكتب عنك النقاد.
- وهل أتعامل مع هالة بنفس هذا المنطق الانتهازى؟
- طبعا ، وإلا ستطير من بين يديك. ثم انه ليس منطقا انتهازيا. انه موقف عملى براجماتى. خذ منها موعدا. ثق أنها لن ترفض مادامت تحبك كما تقول. من المؤكد أنها تضج الآن من غبائك وبطنك وعلاقتك الغريبة بالفتاة البولندية المهووسة.
- هذا الأسلوب لا يتوافق مع طباعى الهادئة الخجولة
- هى حجة تتهرب بها من مواجهة مسئولياتك تجاه نفسك. جرب. تشجع. لاتخف من الدنيا حتى تقبل عليك. اهجم عليها. أضرب واجر. ناور واخفى ثم عاود الظهور فى الوقت المناسب. اجعل حياتك ديناميكية متطورة والا ستفوتك كما القطار حين تأتية متأخرا.

نقل رشوان وجهة نظر أخيه ومثله الأعلى الى زيدان. ضحك الرجل ساخرا من هذا الذى ارتبك وتعثرت حياته واكتشف أنه لا جدوى من جداوله منذ نجحت صفقته الأخيرة وغرق فى الحيرة حتى أذنيه. أصبح لايعرف ماذا يفعل بحياته. صدق من قال ان مستقبل الخير- بكسر الباء - أحوج الى عون الله من مستقبل الشر. زيدان واثق أن حلمى سيعود الى جداوله عندما يستعيد توازنه بعد انتهاء أثر الصدمة التى هجم فيها الخير عليه هجمة كاسحة أفقدته توازنه. انه لايدرى شيئا عن ابنه الذى بدأت بوادر الانحراف تظهر على سلوكياته، ولا عن ابنته التى تعيش فى البيت كاليتميمة لاتجد من تكلمه. ويواصل زيدان:

- هذه هى نتيجة الجداول التى عاش حلمى عمره يخطط لها باتقان لتحقيق أهدافه المتصاعدة بلا نهاية. هناك جدول واحد ما كان ينبغى لحلمى أن يغفل عنه.
- هل أصابتك عدواه يا أبى فصرت تتكلم مثله بالجداول؟
- انه جدول السعادة. كل انسان يولد ومعه حظه الذى قسمه له خالقه، سواء فى الرزق أو العمر أو الخلفة أو الصحة أو السلطان. كل ما عليه أن يسعى فى الحياة متوكلا على الله دون قلق أو جزع أو نهم. ماسيحدث سيحدث مهما فعل. مجموع عناصر هذا الجدول ثابت عند كل الناس. الزيادة فى عنصر لامفر من أن يقابلها نقصان فى عنصر آخر بحيث يظل مجموع العناصر ثابتا.
- قضية معقدة حقا. لا أدرى كيف يتم التعامل معها
- بتوافر قسط كبير من الإيمان.. وهذا ما ينقص حلمى فى واقع الأمر

يمضى حلمى فى حياته الجديدة غير عابىء بشىء. يكلف نشوى رسميا بإدارة أعماله ويحملها المسئولية كاملة. كانت نشوى فى حالة ذهول تام. لم تستوعب لم فعل هذا وماذا يريد فى المقابل ، أو ماذا ينتظر منها بعد أن تستجيب لأمره وتوقع العقد.

- هل رشيدة على علم بذلك؟
- رشيدة لا شأن لها بحياتى. هذا موضوع يخصنى وحدى. وقعى يا نشوى
- يغادر حلمى الشركة مهرولا الى عربته. يصرف سائقه ويتولى هو قيادة عربته بسرعة جنونية يجوب بها شوارع المدينة بلا هدف. يقطع شارع الكورنيش بأكمله ذهابا وعودة دون توقف. يدخل بعد ذلك الى الشوارع والأزقة الجانبية وهو لايدرى لماذا يفعل ذلك. تنتابه حالة غريبة من ضياع يراه جميلا أشبه بحالة من السكر المحدود أو غيبوبة المخدرات الخفيفة. لا يخطر على باله انسان واحد ممن يعرفهم أو يمتون له بصلة. ما يخطر على باله سيل من الأشياء. الأفكار. الأحداث. الحياة والموت. السلطة والثروة. النهم الى الحياة والاستغناء عنها. كل المتناقضات تتزاحم فى رأسه دون أن يشعر بضيق أو ملل. يزيد من سرعة عربته أحيانا

ويمشى بها الهوينى أحيانا أخرى. اقتحم أكثر من فندق دون تخطيط مسبق. الجميع يهبون في خدمته احتراماً لشخصه المهيّب الذي أصبح علماً من أعلام المدينة. يدخل الى البار مباشرة. يشرب كأسين فقط من الويسكى ويغادر المكان منتعشاً الى مكان آخر. يكرر نفس الفعل في سعادة.

بدأ يغنى مع نفسه ، فهو من عشاق أغاني عبد الوهاب الشديدة القدم. في البداية كان يندن بأنغام خافتة. بعد الكأس السادسة راح يغنى بصوت مسموع غير عابىء بأحد. انتهى به المطاف الى حوض سباحة أحد الفنادق الفخمة ، حين ارتفع صوته بالغناء:
"انت وعزولى وزمانى حرام عليك/ دبلت زهور الأمانى ما بين ايديك"

يجلس رشوان مع هالة في أحد الكازينوهات الشهيرة المظلة على كورنيش البحر. عبر لها عن أسفه لتباطئه في دعوتها لمثل هذا اللقاء لأنه كان يخشى بشدة أن ترفض طلبه فيكون يوماً من أسوأ أيام حياته. قالت انها كانت تتمنى دائماً أن يبادر بطلب لقائها الذي كانت تنتظره بكل الشوق والرجاء. ازداد رشوان ايماناً بأفكار حلمي ، خاصة حينما لفتت هالة نظره الى ضرورة أن يتخلى عن خجله وحيائه الشديدين ويواجه الحياة بكل جرأة وشجاعة. اعترف لها بأنه لا يتمتع بالشجاعة الحقيقية الا عندما يمكس بالقلم والورقة ليكتب ، أما في واقع الحياة فهو هيباب متردد. حكى لها عن صديقه البلجيكية التي كان يرسلها أيام الجامعة ويتبادل معها الكتابة والصور عن المسائل الجنسية بحرية مطلقة دون أن يشعر بالخجل أو الحياء. عندما جاءت الى مصر في زيارة سياحية كان كل منهما بشوق شديد الى لقاء الآخر. لما التقيا اكتشفت فيه الفتاة انساناً ضعيفاً لا يعرف كيف يقتحم الحياة ويخترق قلب فتاته ، فتركته وانصرفت. أما الفتاة البولندية فقد كانت عبقرية في فهم شخصيته. عبقرية في الحفاظ على العلاقة الطاهرة بينهما حتى عادت الى بلادها دون أن يفكر ولو مرة واحدة في أن يقبلها.

استطاعت هالة – بعد جهد – بذكاؤها الفطري أن تخرج رشوان من حالته وتدربه على الانطلاق معها على سجيته دون حذر. تحدثت معه باهتمام عن أهمية رسالته في الحياة ككاتب. قدمت له أفكاراً جيدة تساعده على الانطلاق في مجاله ، وعلى اختصار الوقت لتحقيق النجاح. أسعده ذلك كثيراً فبدأ يتحرر من قيوده ويتكلم معها على سجيته ، ويعبر لها عن مشاعره الحقيقية تجاهها بغير خجل أو تردد. كاد يقوم من مقعده ليقبلها عندما قالت له:

- ثق أنك ستكون في يوم من الأيام كاتباً كبيراً

تغلب على ترده واستبدل يدها بخدها وكانت القبلة الأولى في حياته.

- 10 -

كثرت مفاجآت حلمي غير العادية في غمرة التوتر الذي انتابه بعد نجاح صفقة العمر. دهشت رشيدة عندما فوجئت به يعد أكثر من حقيبة استعدادا للسفر. سألته مستنكرة تجاهله لوجودها وعدم اخطارها بنيتها على السفر فجأة الى حيث لا تعلم. رد عليها بغضب قائلا:

- سبق أن شرحت لك حالتى من قبل. أرجو أن تتحملينى لأجل خاطرى حتى أعبر هذه المرحلة من حياتى. أرجوك يا رشيدة
- أستحلفك ببهاء وجيليلة. هل أغضبتك فى شىء حتى تتركنا فجأة هكذا؟
- والله أبدا. أنا غضبان من نفسى. أنا مرتبك. دانخ. شبيهه بمن يعانى من ارتجاج فى المخ. دماغى ستنفجر. كل ما أتمناه أن أستريح من نفسى لفترة. أريد السلام لعقلى. هل فهمت؟
- فهمت ، وأخشى أن أسألك الى أين تذهب حتى لاتصيح فى وجهى ثانية
- لم يعقب. مضى مسرعا فلحقت به على الباب راجية منه أن يبعث ولو برسالة على الموبايل أو يتصل بها بأية وسيلة من المكان الذى ينوى الذهاب اليه.
- انزوت رشيدة فى غرفتها باكية. فى المساء تهامس بهاء مع جلييلة بعيدا عنها. قال لها بهاء بسعادة:

- العملية احلّوت يا جميل
- يعنى ايه يافالح؟
- يعنى الواحد يتمتع بحريته بعد سفر والدنا المبجل
- لاتغضب منى يابهاء. أنا مضطرة أقول لماما على كل أحوالك
- أى أحوال؟
- المحاضرات التى لاتحضرها ، والمواد التى رسبت فيها، وشلة الأئس التى تسهر معها
- يوميا حتى الصباح بحجة المذاكرة
- حتى لو قلت لها فحالتها لاتسمح لها أن تفعل بى شيئا

- توجه حلمى الى المقهى القريب من بيت توفيق، والتى يعرف أنه يسهر بها دائما. استقبله توفيق بود زائف فسأله:
- ايه ياتوفيق. ظهرت فجأة واختفيت فجأة. لماذا انقطعت عن الشركة؟
- لاداعى للرف والدوران. أنت أخلتني الى المدام، والمدام أخلتني اليك ، ففهمت أننى غير مرغوب فى. اختفيت حرصا على كرامتى
- كرامتك فى الحفظ والصون، لكنى أريدك فى أمر هام
- خير
- ألا تعرف أين داليا؟
- ياه!!..يا رجل لقد مر ربع قرن على هذه الأيام ، وتأتى اليوم لتبحث عنها!
- أين هى يا توفيق؟
- ومن أين لى أن اعرف؟
- عامله بالأسلوب الذى يليق بشخصه حين أخرج من حافظته بضع مئات من الجنيهات أعطاها له فقبلها الآخر بسعادة وقال:
- قل لى أولا ماذا تريد منها
- والله لا أريد منها أى شىء ، ولا أعرف حتى لماذا أريد أن أراها
- معنى كلامك هذا أنك جئت لتتسلى بى بعد أن أصبحت ذا شأن
- غير صحيح، ولكى أثبت حسن نيتى أنا مستعد أن أشغلك عندى لو شئت من باكر
- كانت الجملة الأخيرة أشبه بطعنة سكين حاد فى قلب توفيق الطافح بالحقد تجاه حلمى. كانت عيناه تقطران مرارة وهو ينظر الى العربية الفارهة التى تكاد تسد الطريق أمام المقهى.

- لا يلزمنى أى شغل يأتى عن طريقك
- ياسلام على الدنيا. هل تذكر عم صبحى عامل البوفيه بالكلية ياتوفيق؟
- نعم أتذكره. هل تريد أن ابحت لك عنه هو الآخر؟
- أبدا. أنا علمت أنه مات من زمان وتاهت روحه ضمن ملايين الأرواح
- اصطحبه الى مطعم كبير وهو واثق أنه يعرف كل شىء عن داليا ، فقد كان يهيم بها، لكنها لم تحترمه يوما أو تطبق تصرفاته. كان اهتمامها منصبا على حلمى وحده ، مما يثير جنون توفيق وغيظه وحقده عليه. أخيرا نطق بنبرة حزينة كمن فقد عزيزا لديه:
- داليا تزوجت من ابن عمها وسافرا الى الدنمارك من زمان
- إذن كنت تعرف ، فلماذا المناورة؟
- يا صديقى ان الجمبرى السمين هذا ينعش ذاكرتى ، والنبيذ الأحمر يسخنها..أرأيت!؟
- نعم. رأيت وفهمت
- والورق الأحمر أيضا يضاعف من تنشيطها
- أخرج من حافظته دفعة جديدة من أوراق النقد. مد يده بها اليه فخطفها منه كجائع منهوم قانلا فى لهاث:
- هات
- هات انت العنوان
- باكر فى نفس الموعد على نفس المائدة بما عليها
- ****
- أخيرا كان لابد من المواجهة. رحبت بها رشيدة والفضول يطل من عينيها عن مغزى هذه الزيارة المفاجئة من هذه المرأة اللغز.
- خطوة عزيزة يا مدام نشوى
- جئت اليك بقلب مفتوح ونية صافية يعلمها الله ، ألا أخطو خطوة واحدة قبل الرجوع اليك
- لا أفهم ماذا تقصدين
- حلمى سلمنى الشركة قبل أن يسافر
- ارتبكت رشيدة. أصابها شعور جارف بالمهانة حاولت إخفائه بكبرياء. اضطرت الى الكذب.
- أخبرنى بالطبع ، لكنه لم يذكر لى التفاصيل
- أنا لا أعرف الظروف التى دفعته الى ذلك ، وليس من حقى أن أعرف. لكن المؤكد أن من حقك أن تقبلى أو ترفضى أن أجيبه الى رغبته بتولى شئون أعماله
- أخرجت العقد من حقيبتها وقدمته اليها. حاولت رشيدة قدر استطاعتها أن تكبح جماح غضبها وتسيطر على ذهولها وخيبة املها فى زوجها الذى تحول الى كائن غريب لاتعرفه. تطلعت بعينين زائغتين الى تفاصيل العقد وقالت مستنكرة:
- لكنك موقعة على العقد!
- نعم ، لأنى تواقه الى العمل لملء حياتى وقتل وحدتى من جهة ، وراغبة فى ارضائه من جهة أخرى إذ كان مصرا على موقفه
- وما المطلوب منى الآن؟
- اما أن تمزقى العقد بيدىك ولن تخطو قدماى خطوة نحو الشركة، وإما أن توافقى وأكون شاكرة لجميلك مخلصه لك ولحلمى كما ستثبت لك الأيام
- أعتقد أنه ليس بيدى الآن أن أقرر شيئا بهذا الخصوص فى غياب حلمى
- خذى وقتك يا عزيزتى ، وأنا بانتظار رذك الذى سأقبله – أيا كان – عن طيب خاطر
- وقفت نشوى تستعد للانصراف. فاجأتها رشيدة بابتسامة صادقة:
- انتظرى من فضلك. تعالى أبوسك

قبلتها تعبيراً لها عن امتنانها الصادق لموقفها النبيل. تأثرت نشوى فتساقطت دموعها بغزارة. رغم ذلك سألتها رشيدة بنبرة مباحثية أنثوية:

- شعرت من كلامك أن منزلة حلمي عندك كبيرة وعالية جداً
أدركت نشوى أن رشيدة تبحث هي الأخرى بحاستها الأنثوية عن مكن الخاطر في علاقتها
بزوجها ، فقالت لها:

- يعلم الله كيف أحب حلمي. هو أخي وأخو زوجي عليه رحمة الله. حلمي هو اليد الحانية
الوحيدة التي امتدت لنا في أزماننا. ربنا يحفظه ويحميه ويقف معه في شدته الحالية.
- أنا لا أفهم ما الذي جرى له. هل تعرفين شيئاً يبهر تحوله الغريب؟!
- والله أنا في حيرة مثلك تماماً ، ولو كنت أعرف شيئاً ما أخفيتك عنك أبداً. الله حافظ
ستار

عندما عاد توفيق الى بيته ثملاً مترعاً بالشبع والانسجام ، تلقفته أمه بسيل من الالهات:

- نيلة في خيبتك! ضحك عليك بعشوة يا طفس!
- أحسن من عينيه
- ألم تطلب منه أن يعيدك الى العمل؟
- قلت لك اننى لا يمكن أن أذل نفسي وأعمل عند هذا الوضع
- لكنك ارتضيت أن تعمل مخبراً خصوصياً له بطبق من الجمبرى خبيك الله
- لا آخذ منك دائماً الا اللوم والتوبيخ
- يابنى آدم لازم تفهم اننا أفلسنا تماماً ، وبعد وقت قليل لن نجد ثمن الطعام
لم يعباً بتفريعاتها. توجه في الموعد المحدد للقاء حلمي. أعطاه عنوان داليا وهو يقول بنبرة
متسول ذليل انه أنفق كثيراً من ماله واضطر الى الذهاب الى أقاربها وأصدقائها في العديد من
الأماكن حتى يتمكن من الحصول على العنوان. أعطاه حلمي دفعة جديدة من النقد وهو ينظر
اليه باحتقار دون أن يفتح فمه بكلمة. حاول توفيق التثرثرة. تجاهله حلمي وقام واقفاً.
- الحساب خالص يا توفيق

بعد ساعات قلائل كان حلمي يجلس في الطائرة المتجهة الى الدنمارك. لم تتمالك داليا نفسها من
الفرحة حين فوجئت بحلمى يقف أمامها. لكنها سيطرت بعد ذلك على مشاعرها مبدية تجاهه
مشاعر أقرب الى اللوم والعداء منها الى الفرحة برويته.

- آخر ما يمكن أن اتصوره أن أجذك هنا في الدنمارك يا حلمي. أنا لا أكاد أصدق عيني
- لاتتعجبى يا داليا. ما رأيته في حياتي جعلنى أصدق أن أى شىء يمكن أن يحدث لأى
انسان فى أى وقت دونما حاجة للبحث عن أسباب
توجهها معا الى ملهى التيفولى العالمى بكونهاجن. كان قد قرأ عنه وتمنى زيارته. لم يكن
سؤالها مفاجئاً له:

- ترى ما الذى جاء بك الى الدنمارك ، وكيف اهتديت الى عنوانى؟
لفت نظره رؤية علامات ودوائر زرقاء على وجهها وحول عينيها.
- هذه أسئلة غير هامة. قولى لى أولاً ماهذه الزرقة والاحمرار بوجهك وحول عينيك؟!
ارتبكت ارتباكاً واضحاً عجزت عن اخفائه. ادعت كذباً بغير الحقيقة:
- هذه حساسية جلدية

قال بحزن متعاطفاً مع نظراتها المنكسرة:

- هذه لست حساسية. انها آثار ضرب!

ثارت فى وجهه بعنف:

- وما شأنك أنت؟.. هذا أمر يخصنى وحدى

ثم تراجعت شاعرة بالندم:

- أنا أسفة يا حلمي . أعصابى متعبة جداً

- أنا الآسف. يبدو أنني جئت فى وقت غير مناسب وتدخلت فيما لا يخصنى. هل تحبين أن أنصرف؟
- ليس غريبا أن تنسحب بسرعة فى أى موقف كعادتك يا بشمهندس
- لا أفهم قصدك
- سنظل طول عمرك لا تفهم.دمرت حياتى كلها وما زلت لا تفهم!
- انكمش حلمى فى دهشته لما سمعه. كان بالفعل لا يفهم ولا يتصور أو يصدق أن يكون هو بصفة خاصة سببا فى تدمير حياة الانسانة الوحيدة التى أحبها من قلبه. كانت حبه الأول والأخير.
- حرام عليك ياداليا. أنا تركت الدنيا كلها وجئت لأطمئن عليك
- بعد ايه يا استاذ. جئت متأخرا جدا. خلاص. خلصت الحكاية
- يعنى ايه!؟
- ألم تكن تحبنى يا حلمى؟
- وما زلت أحبك حتى هذه اللحظة
- عاودت ثورتها الغاضبة عليه مرة أخرى. صاحت فى عصبية:
- أرجوك. الزم حدودك. أنا سيدة متزوجة
- أنا آسف. أجبت عن سؤالك فقط
- قل لى أرجوك. أرجوك. لماذا لم تطلبنى من أبى؟ لماذا جيت؟.. لأنه كان وزيراً..هه!!..هاهو الآن على المعاش. لامخلوق يسأل عنه. مثله مثل أى موظف متقاعد على الدرجة العاشرة
- طغى ندمه على ذهوله مما يسمع:
- يعنى لو كنت...
- قاطعته بحزم:
- طبعاً. لكنك خذلتنى بعدم ثقفتك بنفسك.جعلتني أحتقر نفسى أن أحببتك
- كنت أعتقد أن هناك علاقة بينك وبين توفيق
- لاتكذب لتتهرب من الحقيقة
-
- بالله عليك لا تحاول اقناعى أنك صادق. كيف ظننت أن تكون هناك علاقة بينى وبين هذا الفاشل الصايغ. عموما انتهى الأمر وأخذ كل منا نصيبه المقدر من الدنيا
- تمنى لو لطم على وجهه من شدة الندم على اضاعة فرصة العمر من يده بسبب تخاذله وشعوره بالدونية الذى تأصل فى نفسه منذ يوم أن أهانت ثريا أباه أمامه. عاودت خياله الصورة التى طالما داعبته فى أحلام يقظته. صورته وهو فى زى الزفاف وداليا مرتدية ثوب الفرح الأبيض الجميل وهى متأبطة ذراعه. سأله عن زوجها:
- نزل مصر. أخذ معه جواز سفرى حتى لا أستطيع التحرك. انسان شاذ. جبان
- يعنى ضرب وحبس ومازلت تتحلمينه؟!..لماذا يا داليا؟
- كل هذا حدث بالأمس فقط عندما طلبت منه الطلاق
- عموما أنا تحت أمرك فى أى شىء تطلبينه منى
- قالت فى شمم:
- أنا لا أحتاج مساعدة من أحد. سوف أخلص عليه قبل أن يخلص على. وأول ما فعلته
- أننى أبلغت عنه البوليس

- 11 -

فوجنت رشيدة بهاء يدخل البيت فى الثالثة صباحا ، بعد أن ظلت ساهرة تنتظره وهى فى غاية من القلق. قال انه كان يذاكر مع أحد أصدقائه ، لكن رائحة الخمر كانت تفوح من فمه. صفعته بقسوة على وجهه. عندما اعترض بفورة الشباب قالت له:

- وسأضربك بحدائى أيضا. هذا ما كان ينقصنا. الرجل يطفش والإبن يأتى الى البيت سكرانا بعد منتصف الليل

فى الصباح لم يكن بهاء فى فراشه. طلبت رشيدة من جلييلة ألا تعود من الكلية الا وهو فى صحبتها. كانت جلييلة قد أوضحت لها أنه تغير كثيرا منذ اندمج فى شلة أصدقاء فاسدين ، حتى أنه لم يعد يحضر معظم المحاضرات.

صدم رشوان فى دور النشر الحكومية عندما حاول اصدار رواية جديدة من خلالها. تبين له أن انتظار دوره فى النشر قد يمتد لسنوات ثلاث. هذا اذا ما وافقت لجنة القراءة على العمل. تبين له أيضا أن هناك مجاملات وشللية تضرب فى هذا الوسط الأدبى بقوة ، وأنه لا عدل ولا نظام ولا أولوية للأفضل. اقترحت عليه هالة فكرة انشاء تجمع أدبى لشباب الكتاب الجدد ، يقوم بنشر انتاجهم وتسويقه والدفاع عن حقوقهم فى المنتديات الأدبية. اعترضت بقوة على يأسه واستسلامه للأمر الواقع بحجة أن مثل هذا الجهد بحاجة الى عمر آخر حتى يكتب له النجاح ، فضلا عن صعوبة ايجاد الموارد المالية لتنفيذه. ضربت له المثل على العزيمة والاصرار بحالتها فى الجامعة. استبعدت من التعيين كمعيدة وتم تعيين أحد أقرباء رئيس القسم بدلا منها رغم أنه يقل عنها فى التقدير. رفعت قضية على رئيس القسم حيث لم تأت كل الشكاوى التى أرسلتها الى العميد و الى مدير الجامعة بنتيجة. لفت نظره نضالها المستميت من أجل التمسك بحقها والكفاح بعزم للحصول عليه. سلك الطريق الى احدى دور النشر الخاصة مسلحا بالعزيمة والاصرار. التقى بالناشر الذى لخص له الأمر بصراحة أن النشر الخاص تجارة كأى تجارة أخرى الغرض منها الربح وليس نشر الوعى أو الثقافة كما يدعى البعض. اذا لم يكن الناشر واثقا من أن الكتاب الذى يطبعه سوف يدر عليه ربحا معقولا ، فلن يدخله المطبعة. سأله رشوان ببراءة:

- وكيف عرفت أنك لن تكسب من روايتى؟
- لأن أحدا لايعرفك
- اذا قال كل ناشر هذه العبارة فمتى سيعرفنى القراء أنا ومن مثلى؟
- هذه مشكلتك
- ومتى وكيف يعبر جيلنا عن نفسه؟
- على جيلكم أن يقرر ذلك بنفسه ، أما أنا فتاجر فقط

ذهب بهاء الى نشوى بمكتبها فى شركة أبيه. لم يكن فى حالته الطبيعية من حيث الملابس والمظهر وطريقة الكلام. أمضى يومين خارج بيته دون أن يعلم أحد أين أمضاهما. شكت نشوى فى أمره عندما لاحظت أنه ينطق الكلمات بصعوبة كما لو كان مخدرا. طلب منها مبلغا من المال. طلبت له مشروبا وتركته الى غرفة أخرى حيث اتصلت هاتفيا بأمه تبلغها بالأمر. بكت رشيدة خوفا على ابنها من الضياع ، ورجتها أن تحثه على العودة الى البيت. لم تحبذ نشوى فكرة رشيدة بأن تأتى بنفسها لتصحبه الى البيت خشية أن يعاندها ويهرب من مواجهتها. نجحت نشوى فى تهدأتها ووعدتها بأن كل شىء سيكون بإذن الله على مايرام.

حلقت آمال حلمى فى فضاء الحب حين التقى داليا. تمنى ألا يضمن عليه القدر بنظرة حب أو لمسة حنان منها تعيده اليها وتعيدها اليه ليصح خطأه الفادح الذى ارتكبه فى بداية حياته. لكن داليا كانت تفكر فى اتجاه مخالف. سألته فى فضول عن أبنائه فسألها هو الآخر عن أبنائها. أجابت فى حسرة:

- انا لم أنجب أولادا يا حلمى
- أنا أسف. كل شيء بأمر الله ، وعسى أن تکرهوا شيئا وهو خير لكم
- بالعكس. أنا فى منتهى السعادة لأنى لم أنجب من هذا النذل
- وهل قرارك بالانفصال نهائى
- لايدل عنه ، وسوف أعود الى مصر وأرجع الى عملى ان شاء الله
- وربما تفكرين فى تجربة ثانية
- لن أرتبط برجل مرة أخرى حتى لو كان ملاكا منزلا من السماء
- شعر بحزن شديد. دنيا غريبة. لحظة تخاذل واحدة يضعف فيها انسان تكون سببا فى إفساد حياته وحياته غيره طول العمر!.. شرد قليلا. أفاق على اعتذار داليا:
- معذرة يا حلمى. اقترب موعد نومي. مع السلامة
- وقفت لتصافحه. تشبث بيدها متسانلا فى رجاء ملح:

- هل أراك مرة أخرى؟

- هذه آخر مرة ترانى فيها ، وأرجو ألا تحاول الاتصال بى ثانية ،ولو بالتليفون بعد ساعات قليلة من هذا اللقاء غادر حلمى الدنمارك الى القاهرة. ما أن خرج من المطار حتى توجه الى ميدان الحسين. نزل فى فندق شعبى يتوسط الميدان. اشترى جلابية بيضاء وطاقيـة وأخذ حماما دافئا ثم نزل الى المسجد. صلى العشاء لأول مرة منذ أزمته النفسية الطارئة. وجد نفسه مشدودا بقوة الى حلبة ذكر منعقدة فى احدى القاعات. الذاکرون يتمائلون يمينا ويسارا فى حماس غير عادى ، مرددين فى ايقاع منتظم:

"الله..الله..الى..الى..الله..الى"

دخل فى وسطهم واندمج معهم بحماس مضاعف. لم يكن يعرف ان كان يذكر الله أم يرقص أم يمارس الحالتين معا بعد أن امتزجا فى بعضهما البعض فصارا شيئا واحدا. ذاب فى المجموعة مرددا نداءها بقوة وسعادة كما لو كان قد اهتدى الى الخلاص مما هو فيه. رغم غيابيه الوجدانى فقد كان عقله واعيا لما يحدث له. راح يمطر جاره فى الذكر بأسئلة وكلمات تتخلل كلمات الذكر:

- أين الشيخ ابراهيم ياعم الحاج؟
- فى الخلوة
- عنده ناس؟
- أقول لك فى الخلوة تقول عنده ناس؟!؟
- والنبي ادع لى يا عم الحاج. يبدو أنك رجل مبارك
- من أنت يا أختينا؟ هذه أول مرة أراك فى الحاضرة
- أنا عابر سبيل وأريد لقاء الشيخ ابراهيم
- أخذته الى غرفة ضيقة بركن متطرف من المسجد. فى ركن داخل الركن كانت كومة من العظام مكسوة برداء أبيض ، تجلس فى عالم آخر . الشيخ ابراهيم حليق الذقن. كل مافيه عينان ثاقبتان واثقتان مطمئنتان. ناداه الرجل ، ثم ناداه حلمى فلم يرد عليهما. قال الرجل لحلمى:
- لا تتعب نفسك . مادام لن يرد فلن يقابل أحدا
- لماذا؟
- من المؤكد أنه الآن فى صحبة الأجاويد
- حتى لو كان فى صحبة العفاريت. لن أغادر المكان قبل أن أكلمه
- ثم صاح مناديا بأعلى صوته:

- كلمنى يا شيخ ابراهيم. مدد يارسول الله.مدد. رد يامولانا.. أنا فى عرض حبيبك النبى
تعجب حلمى من نفسه وهو يردد هذه العبارات التى لم ينطق بمثلها فى حياته ، ولم يكن يتصور
أن ينطق بها يوما لينادى شيخا متهالكا يعيش فى عالم آخر بعيدا عن الدنيا كل البعد.

- السلام عليكم يا شيخ ابراهيم
- وعليكم السلام والرحمة. نعم يابنى
- آسف لاقتحامى خلوتك لكنى بحاجة اليك
- مسكين . تحتاج لعبد مثلك ، وتنسى من يقضى لنا الحاجات
- أستغفر الله ياعم الشيخ. أنا تانه وأبحث عن دليل ينير لى طريقى
- الدليل أمامك ، لكن عقلك المغرور يعمى عنه عينيك
- هل تذكرنى يا عم ابراهيم؟
- يهيا لى أننى رأيتك قبل ذلك بزمان طويل
- أنا حلمى زيدان. كنت أزورك كل يوم جمعة فى البياصة مع أبى السائق زيدان

شرد قليلا ثم سأله بصوت خفيض:

- ما طلباتك يا حلمى؟
 - أشعر بخوف شديد يصل الى درجة الرعب. هل يمكننى أن أنام عندك الليلة؟
 - تؤانسنى يا ابنى. لكن ما حكايتك؟
- استمع الشيخ الى قصة حلمى منذ صعود منحنى نجاحه حتى ذروته ، حتى وصل به الحال الى
درجة من الارهاق النفسى وتعاكس الملكات وتضارب الانفعالات ، جعلته من أصحاب الوجدان
المعذب الذى يصعب التوصل الى جذور أسبابه. عندما التزم الشيخ ابراهيم الصمت طويلا قال
له حلمى فى أسى:

- فقدت الاحساس بطعم السعادة ، بل بطعم الحياة يا مولانا
 - كيف وقد تجاوزت ما كنت تتمنى
 - هنا صميم مشكلتى
 - الأمر شديد الوضوح. نسيت الله ، فأنسأك نفسك
 - لم أنسه أبدا. أنا دائم الشكر والعرفان لفضله على
 - بالكلام فقط ، لا بالفعل
 - قل لى بالله عليك ماذا أفعل حتى أعود الى نفسى. لقد أصبحت مخلوقا آخر غريبا عنى.
 - أنا لم أعد أنا يا شيخ ابراهيم
 - الطريق صعب يا حلمى. هل ستقدر عليه؟
 - أحاول
 - المحاولة لن تفلح. المطلوب عزيمة القلب ، وقلبك ممتلىء لآخره بالدنيا
 - ماذا أفعل. دلنى بربك
 - تبقى عندى أسبوعا. تختم القرآن وتتفرغ للعبادة ولا تكلمنى فى شىء
 - موافق
 - هذه مجرد بداية للوصول الى سكينه النفس. ثم أقول لك ماذا تفعل بعد ذلك
- أمضى حلمى أياما ثلاثة فى ركن الشيخ ابراهيم ممثلا لتعليماته. فى اليوم الرابع صحا الشيخ
ابراهيم من نومه فلم يجده. حدث نفسه قائلا انه مسكين. كنت واثقا انه لن يكمل. فوجيء
برسالة مغلقة منه:
- "عزيزى الشيخ ابراهيم. اعذرنى لم أستطع الاحتمال. بارك الله فيك. ربما أعود اليك مرة أخرى
وربما لا أعود. لك تحياتى وتقديرى وامتنانى. بارك الله فى عمرك". ردد الشيخ ابراهيم قوله
لنفسه:

- لاحول ولا قوة الا بالله. اللهم صالحه على نفسه يارب

- رشيدة وجلييلة فى حالة من الغم لم تمر بهما من قبل. حلمى مازال مختفيا فى مكان مجهول. بهاء لم يعد الى البيت منذ غادره غاضبا من أمه. بين يوم وليلة أصبحت الأسرة خالية من الرجال ، فباخ طعمها وباتت فى خوف من المجهول. داومت رشيدة على سؤال نشوى عن ابنها منذ ذهب اليها فى الشركة. اختفى منذ حصل على ما طلبه من نقد. قالت نشوى ان الولد ممزق بشكل ملفت. استنكرت رشيدة هذا الوصف:
- يعنى ايه ممزق يا نشوى؟..ماذا ينقصه؟.. عربة ونادى ولبس وفسح ومصروف شهري يكفى للانفاق على أسرة..ماذا يريد أكثر من ذلك؟
 - المشكلة أنه يتمتع بكل هذه الميزات. بهاء ليس لديه أى شعور بالانتماء لأى شىء
 - أى انتماء تقصدين؟
 - هو لاينتمى الى أسرته ولا كليته ولا حتى وطنه
 - وكيف سنجلب له هذه الانتماءات؟
 - أخشى مصارحتك بأن الولد محروم منك ومن أبيه
 - فلماذا لم تخب جلييلة خبيته مع أنها تعيش نفس ظروفه؟
 - من المؤكد أنها تعاني ، لكن ليس بالضرورة أن تفعل مافعل
 - تعبت. تعبت يانشوى. حياتي أصبحت مشكلة معقدة من كل الجوانب
 - حاولي أن تصادقيه من جديد. استمعي الى مشاكله وافتحي له قلبك
 - حاولت دون جدوى. هو مطمئن أن لديه ثروة ، كما لو كان هو الذى كونها ، ومن حقه التمتع بها بغير عمل ولا تحمل مسئولية. لقد بدأت أخاف منه والله مثلما أخاف عليه
 - لامبرر لكل هذا الفلق. هل يمكن أن نتحدث فى شئون الشركة؟
 - ليس لدى أى استعداد لذلك
 - وماذا عن اللزج توفيق الذى عاد يتردد على الشركة؟
 - أرجوك. لا شأن لى بالشركة نهائيا
 - أمام عصبية رشيدة وعدم اتخاذها أى قرار بشأن توفيق ، اضطرت نشوى الى استقباله لمعرفة ماذا يريد. قالت له بتجهم ذائب فى ابتسامة صفراء مصنوعة:
 - من فضلك حدد ماذا تريد ، فوقتي ضيق جدا
 - جلس وتمطع فى بلادة ثم قال بمنتهى الثقة وهو يضع ساقا فوق ساق:
 - قهوتى سادة بن ثقيل
 - هذه شركة وليست مقهى يا استاذ. قل ماذا تريد
 - سأقبل هذه المعاملة السيئة اكراما لصديق عمرى حلمى بك
 - ماله حلمى؟.أين هو؟
 - ألا تعرفين مكانه أنت الأخرى؟
 - تكلم من فضلك. ماذا تريد؟
 - أريد أن اتفاهم مع أحد بشأن ابنه الصايغ الضايغ بهاء
 - وأين هو بهاء؟
 - ايه يا مدام!..ألا تعرفين مكان أحد من عائلة حلمى الكريمة؟..هل هربوا جميعا وتركوا لك الشركة؟
 - أين بهاء؟
 - فى الحفظ والصون. عندى فى البيت
 - انتصبت واقفة على الفور.قالت:
 - هيا بنا اليه. أنا ذاهبة معك

قررت هالة دراسة الماجستير من خارج الكلية إمعانا فى تحديها لخصومها الذين اغتصبوا حقها. عبر لها رشوان عن سعادته بهذا الاغتصاب ، فلولا له لعينت معيدة ولما عملت معه

بهذه المؤسسة الدولية ولما تعرف عليها. اطمأنت الى أنه استجاب لرغبتها فى طباعة الكتاب الجديد على نفقته. كان حلمى قد أعطاه مقدما تكلفة طباعة ثلاثة كتب ، لكنه تلكأ كعادته لولا أن دفعته هالة الى التحرك. عبر لها عن قلقه لغياب أخيه واختفائه. كان هذا العذر هو مبرره للتأخر فى اصدار عمله الروائى الجديد. لم تقبل هالة العذر وأصرت على أن تصحبه معها الى المطبعة فى التو واللحظة.

ظلت ملازمة له فى جميع خطوات اصدار الكتاب. اختارا معا تصميم الغلاف المناسب. اتفقا مع احدى الشركات على توزيع الكتاب بجميع مدن الجمهورية. قدمت له قائمة بأسماء وعناوين رؤساء التحرير ورؤساء الأقسام الأدبية فى معظم المجلات والجراند المصرية والعربية. كان من المفترض أن يذهب رشوان بنفسه ليلتقى بهذه الشخصيات ويهدى لهم نسخا من كتابه حتى ينال حظه من النقد والدعاية والانتشار. رفض رشوان ذلك الأسلوب بشدة. قررت هالة أن تتولى هذا الأمر نيابة عنه ورغما عنه أيضا.

-12-

حاول البارمان – الذى تصادف أن اسمه حلمى – أن يمنعه عن المزيد من الشرب، إذ بلغ به السكر حدا يدعو الى القلق على قدرته أن يحمل نفسه الى حيث يقيم. لم يتذكر حلمى اسم الفندق الذى ينزل به. احتار الرجل فى أمره وهو يعرفه ويعرف منزلته الحقيقية. نجح فى معرفة الفندق بمعاونة آخرين. فى الصباح غادر حلمى الفندق الى فندق آخر. ترك بقشيشا كبيرا يقدر ببضع منات لفتاة الاستقبال. قال لها انه غير مكان الإقامة حتى يسهل عليه الالتقاء بها دون اثاره الشبهات من حولها فى مكان عملها. أضاف بنبرة جادة:

- على فكرة.. أنا أحبك
- أنا أصغر من بنتك يا عمو
- لا يوجد قانون يمنعنى – كأربعينى - أن أحب فتاة فى العشرين
- قانون الطبيعة هو الذى يمنع
- أنا خارج على هذا القانون ، ولا يوجد من يستطيع أن يحاسبنى على ذلك
- وكيف يكون ذلك يا سعادة البك؟
- بإسمى. بفلوسى. بسمعتى. بصحتى. بحبى للعالم. برغبتى فى أن أعيش حياتى وأستمتع برحيقها حتى آخر قطرة
- كأنك تعطينى تصريحاً مباشراً بأن أبتزك وأستغل جنونك
- سأتزوجك
- أذهب لحالك يارجل. كل هذا الثراء والذكاء والجمال والشهرة، ولا عقل؟! راقب هذا المشهد بعض من رواد الفندق. البعض منهم يعرفونه. شعر بإهانة مزدوجة أولها من البنت الصغيرة أمام الناس ، وثانيها من نفسه. غادر الفندق الى البار الذى اعتاد أن يشرب فيه. لاحظ صديقه البارمان حلمى أنه يلهث بشدة فسأله:
- هل هناك من يجرى خلفك ياباشا؟
- نعم
- أين هو؟
- لن تراه ولن تستطيع الإمساك به
- إذن فهو عفريت
- انه الزمن يا بقف. هات كاس من غير صودا
- بالأمس وأنا أوصلك الى الفندق حكيت لى تاريخ حياتك وانت سكران. لماذا لاترجع الى بيتك وأولادك وتتخلص من هذا الشيطان الذى يركبك ولا مؤاخذة؟
- ان كنت ترى هذا الشيطان فصفه لى حتى أصدقك
- هو متوحش كالغول. أنيابه طويلة. يجرى بسرعة البرق. يببطش ولا يرحم. انفجر حلمى فى نوبات متعاقبة من الضحك.
- علام تضحك ياباشا؟.. ألم تطلب منى أن أصفه لك؟
- هذا الذى تصفه هو الزمن يا حمار

تمت ندوة مناقشة الرواية بنجاح. كانت هالة طائرة من الفرحة. أصيب رشوان بحالة من الاكتئاب أثارت دهشة هالة. قال ما الفائدة أن يعجب النقاد بروايتى ثم لا يبيع منها الا أربعون نسخة من خمسة آلاف ، أى بنسبة تقل عن الواحد بالمائة. شعبنا غير قارئ. الأدب لا مقام له فى بلد مطحون شعبها بالغلاء والارهاب والفساد والاتجار بالدين. قالت هالة ان هذا التوصيف هو خير مبرر لأن يستمر فى أداء رسالته التنويرية ككاتب وأديب ، مادام مقتنعا بها. هيرمان ميلفيل باع خمسة عشر نسخة من روايته وهو على قيد الحياة ، ولما مات باعت نفس الرواية خمسة عشر مليون نسخة. رسالة الأديب تراكمية مع الزمن. لاتظهر نتائجها الفعالة الا بعد

سنوات وسنوات رسالة الكاتب لا تنتظر جنى الثمار الفوري كما ينتظرها التاجر والصانع. كثير من العباقرة فارقوا الحياة قبل أن يكتشف العالم كنوزهم الفكرية والفنية الثمينة.
كان رشوان يستمع الى كلمات هالة الحماسية وهو فى حالة من اليأس والفتور والتخاذل لم يعرفها من قبل. حسمت له النقاش بقولها:

- لا بد أن تحدد موقفك من الآن. إما أن تكون مؤمنا برسالتك التنويرية لهذا الشعب الطيب، وأن تكون مستعدا لأن تدفع الثمن مقابل ذلك ، وإما أن تبحث لنفسك عن طريق آخر غير طريق الأدب.
- أخشى أننى لن أستطيع اكمال هذا الطريق، كما أن البديل غائب عن فكرى حتى الآن

وكر حقيير يمارس فيه توفيق صعلكته مع صحبه. لم يكن هناك مفر من أن تدخله نشوى بصحبته حتى تستخلص منه بهاء. فرعت عندما رأته جالسا يبكى مرتديا ملابس الداخلية فقط. ما أن رآها حتى استنجد بها فى لهفة:

- الحقينى يا طانط نشوى. أريد الخروج من هنا
- أين ملابسك؟

أجاب توفيق فى سخرية:

- الباشا ابن الباشا خسر فلوسه فى القمار فراهن على بدلته ، فخرها !
- لم تستطع نشوى السيطرة على أعصابها:

- أه يامجرمين ياسفلة. سأبلغ البوليس حالا

ببرود شديد قال لها توفيق:

- ليتك تفعلين ذلك. على الأقل أضمن أن آخذ حقى منه
- توسل اليها بهاء:

- أرجوك يا طانط. لاداعى للبوليس والفضائح

تابعه توفيق مؤيدا فى شماتة:

- نزوله وركوبه معك عربتك وهو بهذا المنظر يسىء اليك ياهانم. انتظرى حتى أشوف له جلابية تستره

جاء له بجلابية قديمة متسخة عفنة الرائحة. ألبسها له:

- البس يا حلو. الجلابية لايقة عليك. أسمعينا صلاة النبى يامدام

- تعال يا بهاء. يلا بسرعة. أعوذ بالله من هذه الأشكال

مد كفه اليمنى نحوها بشكل مستفز:

- هاتى أولا ، ثم فكرى بالخروج من هنا

ماذا تريد؟

- قل لها ياسى بهاء وخلصنا

قال بهاء على استحياء بصوت خفيض:

- استلقت منه خمسمائة جنيه

أعطت توفيق المبلغ وقالت له وهى تنفخ غيظا:

- من الآن لاعلاقة لك ببهاء الى الأبد

- أنا لم أسع اليه أو أضربه على يده. هو الذى رمى بجثته علينا. كان يظن أنه رجل.. فى ستين سلامة

عندما وصلا الى البيت كانت رشيدة فى ذروة غضبها، بعد أن علمت هاتفيا بالتفاصيل من نشوى. رفضت أن يدخل بهاء الشقة. زعقت بصوت عال:

- يعود من حيث جاء الى أصدقائه الفاسدين. خلهم ينفعوه

بذلت نشوى أقصى جهدها كى تقنع رشيدة بإدخاله الى البيت منعا للفضيحة أمام الجيران. تعهدت لها ألا يبيت بهاء خارج المنزل مرة أخرى مهما حدث ، وأنها مسنولة أمامها عن هذا

التعهد. كان قلب رشيدة ينبض بالفرحة لعودة ابنها الضال، لكنها أخفت فرحتها وأصرت على موقفها حتى يدرك بهاء مدى الضرر الذي أوقعه بنفسه وبأسرته، خاصة وأنه قد اختار أسوأ توقيت لفلته وهو غياب أبيه. واصلت تمثيليتها المتقنة مخاطبة نشوى:

- أنا أسفة يانشوى. سأتركه يجوع ويتشرد حتى يفهم معنى البيت والأسرة. ومن الآن سأمنع عنه المصروف. سأبيع عربته. ولن أدفع له اشتراك النادي
- بهذا الشكل سوف تحرمينه من الذهاب الى الكلية وحضور المحاضرات وتعويض مافاته منها
- كلية ايه ومحاضرات ايه؟!..الباشا راسب فى جميع المواد
- لأجل خاطر اعطيه فرصة أخيرة
- أسفة. قرارى نهائى لارجعة فيه. لن يدخل البيت الا بعد رجوع ابيه ان كان سيرجع هو الآخر

عادت نشوى الى بيتها وبصحبته بهاء. هاتف رشيدة ولامتها على أنها عاشت دور الغاضبة أكثر من المطلوب ، أو كما يقول الفنانون "أوفر"، الأمر الذى لم يتفقا عليه من قبل.

- كان لا بد أن أربيه هذا الكلب..أين هو الآن؟
- نائم عندى طبعاً ، بعد أن مزق قلبى بكأوه طول الليل
- لا أعرف كيف أشكر على موافقك النبيلة يانشوى. لكنى أخشى أن تسبب اقامته عندك مشكلة
- بهاء ابنى مثل سالم ، ولو أن سالم نسينى حتى كدت أنساه أنا الأخرى
- متى ترين أن أوافق على عودته؟
- أن الأوان ، فقد استوى على نار الشعور بالذنب والندم
- لاحرمنى الله منك

راح حلمى يدور حول نفسه وتدور نفسه من حوله. ارتبك بشدة أمام الوفرة المفاجئة فى الرزق. لم يحسن استقبال الخير كما لفت نظره الشيخ ابراهيم. لحسن حظه أنه لم يسمح لارتبائه أن يوقعه فى كارثة يصعب قيامه منها ، كما حدث لكثيرين غيره ممن واجهوا نفس التجربة المأزق ، فمأزق مواجهة الخير لا يختلف كثيراً عن مأزق مواجهة الشر من حيث ضرورة الاستعداد للمواجهة بحكمة وتعقل وايمان.

صار حلمى المهندس زبونا مستديماً عند حلمى الجرسون الذى بات ملماً بتفاصيل حياته لكثرة تردده عليه وثرثرته معه وهو مغيب. أطلع حلمى على دقائق تفصيلية من حياته لم يفكر يوماً أن يدلى بها لمخلوق مهما بلغت درجة اعزازه له وثقته به. افضاؤه بأسراره لرجل لايعرفه أصلاً ، كان الضريبة المدفوعة لقاء اعتياد الشرب بصفة يومية، فضلاً عن الشعور بالضيق والتشتت وفقدان الرؤية والهدف.

- عدت ثانية يا سيد حلمى؟!!
- نعم. لم أجد فى غيرك ملاذاً
- قل لى بصراحة وهات من الآخر..ماذا تريد من هذه الدنيا؟
- أريد أن أحب ياشيخ ابراهيم
- ولم لاتحب يابنى ، والدنيا بغير حب لاطعم لها
- هذه هى مشكلتى
- ولم تجعل منها مشكلة. لم لاتحب زوجتك وأولادك وأهل بيتك جميعاً؟..لم لاتحب الناس والطبيعة والكون كله ، حتى تجد نفسك فى النهاية غارقاً فى نور الحب الربانى الذى ليس بعده حب ولا نور
- ياعم ابراهيم. المسافة بينى وبين هذا الكلام مسافة كونية. أريد أن أحب امرأة..واحدة ست يامولانا..لها صدر وموخرة!!

- تعال كل معى
- ماهذا؟.. عيش مكسر وكوز ماء؟!
- وأحيانا أصوم يوما كاملا
- غريبة!!
- هى غريبة عندك لأن كل جوارحك خاضعة لشهواتك
- أقول لك إننى أريد أن أحب وأحب
- وما تفسير هذا الاحتياج القادم فى غير أوانه؟
- عشت خمسة وأربعين سنة من عمرى لغيرى. كدست الأموال لعيالى، وأسست أكبر شركة مقاولات فى الاسكندرية. لكنى لم أعش لنفسى لحظة واحدة مع انسانية تحبنى وأحبها وأفكر فيها وأحلم بها وأنتظرها وقلبي يدق عندما أراها، وأسهر الليل منتظرا نور الصباح حتى أتكلم معها وأسمع صوتها.
- أنا عشت هذه المشاعر بحذافيرها مع المرحومة زوجتى، لكن الطبيعى أن يتحول الحب فى النهاية الى معاشرة وسكن ومودة ورحمة. دع هذا يحدث بينك وبين زوجتك ولن تندم أبدا
- لايمكن
- لماذا ؟
- لأننى لم أحبها
- أنت فى عرف الطبيعة متخلف متأخر. نموك العاطفى لم يتطور. مازلت متوقفا عند مرحلة حبك لنفسك
- وما الحل؟
- أن ترضى بما قسمه الله لك وتحمده وتشكره على ذلك. هناك من هم دونك بكثير فى كل شىء ومع ذلك لايتوقفون عن شكر الله وحمده ليلا ونهارا.
-
- الحل يا حبيبي أن تتعلم كيف تحمد الله

- أرسل جلال الى منزل حلمى خطابا يخبره فيه أن سالم يعانى من مرض وراثى خبيث، وأن حالته فى منتهى السوء. لم يشأ أن يرسل هذا الخطاب الى أمه مباشرة حتى لاتصدم من جهة ، ولاتتصور أنه يتماحك فيها من جهة أخرى. لم يكن يعلم أن حلمى غائب عن بيته. كان بهاء قد عاد الى أسرته واستقرت أحواله. نصح أمه بضرورة اطلاق نشوى على الخطاب. فوجئت بها نشوى تحضر الى مكتبها رغم مقاطعتها للشركة منذ انقلاب حال زوجها. طار عقل نشوى وسقط قلبها هلعا بين ضلوعها بعد أن اطلعت على الخطاب.
- كانت مواجهة شديدة التعقيد والغموض والحساسية بين امرأتين يتحدثان عن رجل واحد، له منزلة خاصة عند كل منهما.
- اهدنى يانشوى. لاتخافى. سنجد حلا ان شاء الله
 - غابت نشوى فى شروود. همست محدثة نفسها بحرقه. لم تعبأ أن كان همسها مسموعا لشهيرة:
 - أهكذا تتركنا وتختفى يا حلمى!؟
 - دبت الغيرة فى قلب رشيدة وكتمت ثورة الدم فى غرفه الأربعة وهى تكاد تنفجر غيظا. لم تستطع اخفاء نبرتها الهجومية حين قالت لها:
 - وماذا سيفعل لك حلمى يانشوى؟
 - حلمى يفعل أى شىء حتى يرضينى. أنا ليس لى أحد فى هذه الدنيا غيره
 - غامت الدنيا فى وجه رشيدة. لم تعد ترى الاظلمة مخيفة قاهرة. تمنى فى هذه اللحظة أن تختفى نشوى من على سطح الأرض. واصلت نشوى:

- لاتغضبى يارشيدة. أنا لا أعرف كيف أفكر فى غياب حلمى، ولا أعرف ماذا أفعل. ابنى سيخطفه الموت منى وأنا جالسة هنا أدير شركة كبرى وأعمل ليل نهار!
- قالت رشيدة بغل مكتوم:
- أنت التى اخترت ذلك الطريق ولم يجبرك أحد على ذلك
- تجاهلت نشوى قولها . قالت بتصميم واضح:
- لا بد أن أسافر الى أمريكا فوراً.

تصورت جلييلة بحسن نيتها أن والدها مسافر الى الخارج لعقد صفقة تجارية جديدة . لم يكن لديها مبرر عقلى آخر لسفره الغامض. سخر منها بهاء الذى ذاق طعم الصعلكة وقال لها:

- والدنا رجل صاحب مزاج ، وجد لديه الكثير من المال ، وقد مل حياته فراح يبحث عن وسيلة مثيرة لتجديدها وبعث الحياة فيها.
- فى نفس الوقت كان الحلميان يتحاوران فى مكان آخر. قال البارمان فى اخلاص:
- اسمع كلامى وارجع لأهل بيتك ، وتخلص من تلك الفكرة المجنونة التى سيطرت عليك. الحب من حولك وأنت تبحث عنه فى العدم!
- ياعم هات كأس ثالثة وكف عن نصحى
- هناك حل وسط. لماذا لا تخطف رجلك لحد بيتك ، فتطمئن على أسرتك وعلى شركتك، ثم تعود ثانية الى الصعلكة؟!..أنا واثق أن الجميع بحاجة الى وجودك
- والله فكرة.. بصراحة هم أوحشونى

وعد رشوان هالة بمفاجأة سارة لن يعلنها الا يوم مناقشة رسالتها التى تحدثت بها ادارة الجامعة فى اصرار شديد. بعد تفكير وتريث تأكد رشوان أنه لن يصلح لأن يكون شينا آخر غير أن يكون كاتباً. ورغم ارتفاع نسبة الأمية وندرة القراء وارتفاع أسعار الكتب ، وانصراف الناس عنها الى الانترنت والتلفزيون، فإنه لم يجد بديلاً أمامه عن الاصرار على موقفه. اتفقاً على ألا يترك وظيفته لأى سبب حتى لا يفقد الدعم المادى الأساسى الذى يساعده على مواصلة تحقيق ذاته. قالت له هالة بسعادة خالصة:

- الآن أستطيع أن أقول لك: مبروك يارشوان

- 13 -

كان حلمي صادقا في وعده للبارمان. غادر الفندق الذي لم يعلن عنه لأحد . اتجه من فوره الى الشركة رغم حنينه الأبوى لحضن أبنائه. لا أحد يستطيع أن يفهم الدوافع الحقيقية التي جعلته يفضل أن يبدأ بالشركة لا بالبيت والأسرة. هل كان قلقا على ادارة أعماله التي تركها فجأة ، أم كان في شوق الى لقاء نشوى ، أم كانت برأسه العنيد أسباب أخرى!.

قفزت نشوى من الفرحة عندما وجدته أمامها. بعد أن استردت أنفاسها بدأت تحكى له ما حدث لبهاء وما يحدث الآن لسالم. كأنها قد عثرت على الملجأ والملاذ ، واهتدت الى الصدر الحنون الأوحى في حياتها بعد أن تهددت بفقده مؤخرا. لم تستطع السيطرة على دموعها وهي توضح له عجزها عن انقاذ ابنها المغترب. ربت على كتفها بحنان وقال:

- اطمئني ولا يكون عندك فكر. سنسافر سويا الى أمريكا
صاحت متسائلة بفرحة طفل طاغية:

- مع بعض؟
- نعم..مع بعض
- ربنا يخليك لى يا حبيبي
- انفلتت منها العبارة بصدق وتلقائية. فهم ذلك حلمي وأحسه. تراجعت في حياء قائلة:
- آسفة يا حلمي. من فرحتى. عموما أنا أحبك كأنك أختي بالفعل
- لاتعتذرى ياسلوى عن صدق مشاعرك
- سالم سيضيع منى يا حلمي. خذنى اليه اعمل معروفا
- أرايت قلب الأم؟.. هل تذكرين قولك انك اعتبرته قد مات؟!!
- بعد الشر. لاتذكرنى بذلك. ربنا يحفظه
- اطمئني سأكون بجانبك ولن أتخلى عنك
- ولكن أين كنت؟ ولم اختفيت هكذا فجأة؟!!

من الشركة توجه مباشرة الى بيته. فى الطريق قرر أن ينتقل بأسرته الى فيلا كبيرة بإحدى ضواحي المدينة بعيدا عن الضجيج والزحام ، بما يتناسب مع قدره ومكانته الحالية. استقبل فى بيته بمظاهرة حب لم يكن ينتظر أن تكون بهذا الجمال. لم يلحظ فى عيونهم نظرة لوم أو عتاب ، وكانهم اتفقوا على ذلك بغير اتفاق. أدرك كم هو عزيز عليهم ، غال لديهم ، وكأنه لم يدرك ذلك من قبل.

فى الليل عندما اختلى برشيده أسرت له بما حدث لبهاء. كاد يجن غيظا من حقد توفيق الذى كان لاشك هو دافعه لإفساد ابنه. توعده بالانتقام فى أقرب فرصة. عندما دار الحديث عن الشركة ، أفصحت رشيده بصدق عن مشاعرها اللائمة لتصرفه الغريب:

- كنت أنتظر أن ترجع أولا الى بيتك لا الى نشوى
- اسمها الشركة يارشيده ، لانشوى
- عموما فقد أصبحت نشوى هى الشركة ، والشركة هى نشوى ، ليس هناك فرق
- قال بلهجة مقتضبة لا تخلو من حسم:

- أرجو أن تعدى لى حقيبة السفر الكبيرة

- أين ستذهب مرة أخرى يا حلمي؟!!

- الى أمريكا

انفجرت رشيده فى البكاء وقد شعرت أن حياتها قد سرقت منها. احتضنها حلمي فى حنان حقيقى وراح يقبلها فى كل مكان بوجهها ويديها حتى ذابت بين أحضانها فى عناق حميم. كانت ليلة حب لم يشهد أحدهما مثلها من قبل.

عاد حلمي بقوة وإخلاص الى عائلته. لم يؤثر قراره بالسفر العاجل على اقترابه الشديد من بهاء ومحاولة اكتساب صداقته والنفاذ الى أعماقه. عندما سأله عن هدفه من الحياة أجابه بأن يصبح مثله.

- لكى تصبح مثلى يجب أن تدفع الثمن من الآن
- أفعل كل ما تأمرنى به ، بشرط ألا تتركنا مرة أخرى
- أول طلب لى أن تتخرج بامتياز وتكون من أوائل دفعتك
- حاضر. أعدك ببذل أقصى ما أملك من جهد
- وعدك لا يكفي. يجب أن تشعر بمعنى التفوق والامتياز والعلو بهما على الآخرين. يجب أن يجرى هذا الشعور فى دمك من الآن لو كنت تريد أن تصبح انسانا غير عادى ، يختلف فى كل شىء عن غيره من الناس . من الآن يجب أن تنهى على الفور أى علاقة بينك وبين أى مخلوق يمكن أن تعطلك عن تحقيق هدفك. عليك بسحقها أو سحقه تحت قدميك.
- حاضر..وماذا أيضا؟
- عندما تحقق الهدف الأول نتكلم عما بعد ذلك
- كم ستمكث فى أمريكا؟
- لن أغيب..وكما اتفقتنا ستتولى أنت وعمك رشوان ادارة الشركة فى غيابى. شكره بهاء وعانقه بقوة. قال له حلمى:
- أريد أن أشعر أننى تركت رجلا بالبيت والشركة ، لاصعلوك مراهق!
- مفهوم يا بابا. اطمئن

حذر حلمى توفيق من الاقتراب من بهاء مرة أخرى. هددته بأن يلحق بأبيه فى السجن لو احتفظ فى ذاكرته باسم حلمى زيدان أو ابنه بهاء. اتهمه توفيق بأن قلبه أسود مثله ، غير أن الفرق بين السوادين هو الفرق بين القدرة والعجز. ذكره حلمى بأنه سبق أن رفض العمل عنده بسبب مشاعر الحقد المسيطرة عليه. نصحه بأن يعمل ويكسب رزقه بالحلال ، ووعد به بأن يمد له العون لو ثبت له انصلاح حاله.

قال لرشوان لو أن أحدا غيره كان مكانه لانتقم من توفيق أشد الانتقام ، وكان له كل العذر لتخليص القديم والجديد فى دفعة شر واحدة، فهو مازال يذكر غروره وجبروته أيام الجامعة ، حين جعله يشعر بالدونية وهو يمارس سفاهته بأموال أبيه المسروقة، كما كان السبب فى أن ضاعت منه الانسانية الوحيدة التى أحبها فى حياته. قال له رشوان بحرقة:

- اياك أن تعيده مرة أخرى الى الشركة
- أقرضته مبلغا مناسباً يكفى لأن يبدأ به حياة كريمة
- وهل تضمن السداد؟
- أنا واثق أنه لن يسدد ، لكنى أردت فقط أن أنفض الحقد عن قلبه بهذا القرض ، وأكسر سمه الزعاف
- أراك ملاكا وديعا مع الآخرين، لكن الأمر ليس كذلك مع رشيدة. لم هى غاضبة منك ثائرة عليك؟
- لأنى مسافر مع نشوى
- شىء يغيظ فعلا. ولم لاتسافر وحدها؟
- لا بد أن أقف معها مثلما وقفت معى هى وزوجها وقت احتياجى اليهما
- يمكنك مساعدتها بأى وسيلة غير السفر معها. من حق زوجتك أن تغضب بالطبع
- هل تريد أن تسمع منى الحقيقة فى أمر هذا السفر؟
- نعم بالطبع
- بصراحة أنا المحتاج الى السفر معها أكثر مما هى محتاجة الى السفر معى
- بالله عليك كيف يمكن ان أفهم هذا اللغز؟
- وكيف أفهمه لك إن كنت أنا لا أفهمه
- شىء غريب

- أبدأ. هذا أمر عادى . مطب ستواجه مثله عندما تحصل على جائزة نوبل
- نوبل مرة واحدة؟!..ثم مطب من بعدها!!
- نعم ، لأنك عندما تصل الى أعلى نقطة فى منحنى صعودك وتجد نفسك قد نجحت فى تحقيق كل شىء تمنيته. ساعتها لن تجد شيئا تفعله ، ولن تعرف ماذا تفعل بعد الذروة ، ولا ما سبب وجودك على قيد الحياة..حينئذ يفترسك الاكتئاب بلا رحمة.
- العجيب أن أبى قال لى كلاما مشابها من عدة سنوات ، لكنى لم أستوعبه مثلما استوعبته منك الآن
- ما رأيك أن تكتب مسرحية تعالج فيها فكرة الانسان حين ينظر فجأة الى نفسه ومن تحته وهو فوق الذروة؟!
- أنت تهرب من الموضوع
- أبدأ. أكتب وسأمول لك انتاج المسرحية. على الأقل نواجه الاسفاف الذى أفسد المسرح المصرى

بمجرد ان وصلا الى مطار نيويورك ، توجهنا على الفور الى المستشفى التى أعطاهما جلال عنوانها. تبين أن جلال قام باتخاذ كل الاجراءات الادارية والمالية التى تكفل بقاء سالم بالمستشفى للعلاج. كانت التكلفة كبيرة. أصر حلمى على أن يسدد لجلال كل مادفعه. طمأنهما أن سالم سيشفى ولن يبقى طويلا بالمستشفى كما أبلغه الأطباء. صافحهما وانصرف على الفور مما أثار دهشتهم معا. فسر حلمى سلوكه بأنه لا يريد أن يفرض نفسه عليها – منتهزا الفرصة – لأنها سبق أن أعلنت رفضها له من قبل. عرفانها بجميله ، ونبل موقفه وضعاهما فى موقف شديد الحرج والحساسية.

- هذا الرجل يحبك بصدق يا نشوى
- أعرف. لكنى لن أرتبط بأحد وقد شارفت على الستين
- والله إنك لتبدين فى الأربعين لا أكثر
- رغم فرحة سالم بهما ، إلا أن إمارات الامتنان لم تكن بادية على وجهه. كان يبدو حيايدا باردا فى مشاعره. لم تفهمه أمه كما لم تفهمه من قبل. حجز حلمى جناحا بأحد الفنادق. وجدت نشوى نفسها غارقة فى أفضاله وجماله. قالت له:

- أنا عاجزة عن ايجاد طريقة أعبر لك بها عن شكرى وعرفانى وامتنانى
- أنا أعرف طريقة
- من فضلك الحقنى بها
- أولا..هل تعلمين كم أحبك؟
- وهل هذا بحاجة الى سؤال؟..انها عشرة عمر
- وما العمل لو كانت الطريقة صعبة عليك؟
- الصعب يسهل لك يا حلمى. أنت أعلى انسان عندى فى الدنيا. قلها يارجل
- سأقولها ، ولكن بعد أن نقوم بجولة سياحية فى المدينة

كلما مر الوقت ، تضاعف غضب رشيدة وازدادت حدة ثورتها على أفعال حلمى. اشتكت همومها الى رشوان. أكثر ما أزعجها أن يسلم حلمى الشركة الى نشوى دون أن تعلم. أما سفره معها فكان القشة التى قصمت ظهر البعير. دافع رشوان عن نشوى بقوة مؤكدا على أنها سيدة فاضلة محترمة لا تكن لها الا المودة والاحترام.

- أنا الوحيدة التى تعرف السبب الحقيقى لما جرى لحلمى
- ما هو؟
- نشوى.. نشوى البارعة فى ذرف دموع التماسيح والكلمات الناعمة

- لا يا أم بهاء. أنا لا أوافقك على هذا الكلام. هي أزمة نفسية وستمر بسلام ان شاء الله. فقط اصبري قليلا
- كرامتى لاتسمح لى أن أصبر أكثر مما صبرت
- أبلغها رشوان أنه ذاهب لزيارة والده المريض. طلبت مرافقته قائلة ان عم زيدان أوحشها كثيرا ، وقد افتقدت مجلسه المحبب اليها منذ أن أقامت عندهم.
- أمام الفراش سأل زيدان عن حلمي. أخفيا عنه نبأ سفره مع نشوى. قال زيدان:
- لست أظن أنه سيرانى. أشعر أنني أودع الحياة يا أولاد. خلى بالك على حلمي يا رشيدة.
- أنا خائف على هذا المسكين. رأيتة فى المنام يجرى بسرعة مخيفة تعرضه للخطر
- إهدأ يا أبى أرجوك.. لاتتكلم كثيرا
- قالت رشيدة وعيناها تدمعان خوفا على فراق حميها الغالى:
- لاتخف يا عمى. حلمي فى عيني وقلبي
- ثم مخاطبا رشوان:
- لاتنس كلامى لك عن معنى السعادة. أعد شرحه لحلمى
- راح بعد ذلك فى غيبوبة مفاجئة. ساد الغرفة صمت حزين مشوب بالقلق. حضر الطبيب. خرجا معا الى الاستراحة حتى ينتهى الطبيب من عمله.
- بعد فترة من انصراف الطبيب ، جاءهما النداء خافتا من داخل الغرفة:
- يا حلمى. يارشوان. يا حسنية
- بمجرد أن دخلا سأل فى لهفة:
- أين حلمى ؟
- ذهب الى الصيدلية لإحضار الدواء الذى قرره الطبيب
- لا أريد دواء.. أريد حلمى

- " قد ايه من عمرى قبلك راح.. راح وعدى يا حبيبي.. قد ايه من عمرى راح"
- "ولا شاف القلب قبلك فرحة واحدة.. ولا داق م الدنيا غير طعم الجراح"
- " ابتديت دلوقت بس أحب عمرى.. ابتديت دلوقت أخاف لا العمر يجرى"
- سألته عن سر اصطحاب هذه الأغنية دون غيرها معه من مصر ليسمعها هنا. قال لها:
- لأنى كنت أتمنى أن تسمعها من عشرين سنة ، فهى تعبر تماما عن حالتى، لكن للأسف لم يكن لدى وقت
- لا أفهم ماذا تقصد
- غير معقول ألا تكونى فاهمة حتى الآن أننى احبك يانشوى
- أنا أعلم معزتى عندك. لكن هذا غير ممكن. مستحيل!
- لماذا؟
- لأسباب كثيرة يجب أن تكون مؤمنا بها ايماننا لايهتز
- لا يهمنى أى سبب من هذه الأسباب
- لاحظت تماديه فى الشراب. كانت واثقة أنه يهلوس من أثر الخمر بخطر من لاوعيه ، وأنه لايعى جيدا ما يقول.
- كفاك يا حلمى. انت تقول كلاما غريبا
- أرجوك يانشوى. أنت آخر عربية فى آخر قطار يوصلنى الى أعتاب حياتى الجديدة القادمة.. تعالى الى جانبى يا حبيبتى
- هم باحتضانها. قاومته برفق:
- عيب يا حلمى. انا أختك الكبيرة
- هل تتزوجينى؟

هبت واقفة . أغلقت الجهاز الذى يذيع الأغنية بعنف. قالت فى حسم غاضب وهى تستعد للمغادرة:

- انا ذاهبة لأنام. تصبح على خير

أكثر ما ألم رشوان ، وفاة والده قبل أن يرى حلمى. أثارت شجونه كلماته عنه. فكر فى أسباب تعاسة أخيه غير المبررة. قالت هالة:

- لو أدرك ان هناك من ينحتون فى الصخر مثلى ومثلك، لحمد الله كثيرا. أنا لا أفهم ماذا يريد من الدنيا، ولماذا يسبب كل هذه التعاسة لأسرته

اعترض رشوان على عزم رشيدة أن تترك البيت احتجاجا على مواقف زوجها التى جرحت كرامتها. كانت وجهة نظره أن تقف الى جانب زوجها فى أزمته وتعينه على استرداد عافيته النفسية، خاصة وأن بهاء قد عاد الى عقله وأثبت كفاءة فى عمله بالشركة بعد أن استقام وانتظم فى دراسته.

- 14 -

فى كافتريا الكلية اتهم بهاء بالبخل الشديد من قبل زميله لاشين .أصر لاشين على أن يدفع بهاء حساب مشروبات الشلّة لإثبات براءته من هذه التهمة ونفيها عن نفسه. تجاهل بهاء الأمر ولم يستجب لدعابة لاشين إذ رآها دعابة سخيفة.

دخل فوزى الى الكافتريا ، فاستلمه بهاء ولاشين وطالباه بدفع الحساب للجميع. فاجأهما فوزى بقوله إنه لا يملك ثمن كوب شاي يشتريه لنفسه ، وإنما جاء ليستريح قليلا، وإنه لو كان يملك ثمن الطلبات كلها لدفعها دون تردد. فوزى هو الأول على الدفعة. جلييلة تقدره وتحترمه وتميل اليه . سعدت كثيرا بشجاعته وصراحته وثقته الزائدة بنفسه. طلبت أن يدفع كل منهم حسابه وحده. لم تكتف بذلك ، وإنما وبخت لاشين على رذالته قائلة:

- معك حق تغار منه ، فأنت راسب فى مادة المنطق
ثم اتجهت الى فوزى وقالت له بتلقائية:

- لو سمحت يافوزى. أنا أدعوك لتناول الشاي معى ، وأرجوك ألا ترفض هذه المرة
كالمعتاد
- وهذا يسعدنى يا جلييلة

بفخر واعتزاز ، راحت جلييلة تحكى للجدّة حسنية عن ثقة فوزى بنفسه ، وعن اعجابها بنبوغّه وحسن أخلاقه. قالت حسنية وهى شاردة فى دهشة:

- سبحان الله، وكأنّ حلمى جالس أمامى الآن من حوالى ربع قرن يحكى لى ما حدث له تماما، فالذى فعله بهاء ولاشين مع فوزى هو ما فعله توفيق الشريف بأبيك بالضبط
- مصادفة غريبة جدا

- كان حلمى يروى لى قصته والدموع تنساب من عينيه وقد غرق فى خجله أمام داليا التى كان يحبها ، حين ظهر أمامها بمظهر الفقير الضعيف
- وما حكاية داليا هذه؟.. هل كانت هى الأخرى تحبه أم لا؟
- فى البداية لم يكن واثقا من ذلك، لكنه كرر لى اعترافه بأنه ارتكب غلطة عمره لأنه لم يتقدم لها بعد أن أدرك مؤخرا أنها تحبه وتريده
- ولماذا لم يتقدم؟

- كانت ابنة وزير. وهو ابن زيدان السواق. شعوره بالفارق بينهما كان مبالغاً فيه ، حتى أنه لم يمتلك الشجاعة لاتخاذ هذا القرار
- إذن ففوزى يعتبر أشجع من أبى بكثير
- كيف عرفت؟

- لأنه يعرف مستوى الاجتماعى والمادى ، مقارنة بمستواه الشديد التواضع، رغم ذلك لم يخجل من اعترافه لى بحبه ، ولم يتردد فى طلب الزواج منى فى الوقت المناسب
- وما رأى بهاء فيه؟
- فى البداية كان ينفر منه أيام الانحراف ويغار من تفوقه، لكنه بعد ان اعتدل واستقام توثقت بينهما علاقة مودة واحترام

عاود حلمى الحاحه على نشوى بطلب الزواج ، رغم أنها أكدت له استحالة أن يتم ذلك بأى حال من الأحوال. اقترحت عليه أن يزور طبيبا نفسانيا يخرجها من حالته المضطربة، كما طالبته بقوة أن يتخلص من تلك الفكرة الجنونية المسيطرة عليه ، والتى يمكن أن تدمر حياته وحياة أسرته. لفتت نظره أيضا أنه لا بد أن يحد من اندفاعه المستمر نحو الشرب لدرجة السكر وإلا تحول الى مدمن.

أخبرتةا ادارة المستشفى أن سالم قد غادر المستشفى بمحض ارادته وعلى مسنوليته. اطلعت نشوى على الأوراق الدالة على ذلك وهى تصرخ فى هستيرية:

- ماذا فعل هذا المجنون ، والى أين ذهب؟..يا رب، لم كتبت على هذا العذاب؟! ذهبت مع حلمى الى عنوان له كانا قد حصلنا عليه سلفا من جلال. لم يجدها. لم يترك أى أثر أو دليل يقود أحدا الى مكان تواجدده. اقترحت نشوى ابلاغ البوليس باختفائه. لفت حلمى نظرها لاستحالة ذلك، لأن وجوده حتى الآن غير قانونى. رأى أن الحل الوحيد والأسلم هو أن يعودا الى مصر.

قاومت نشوى هذه الفكرة ، مستنكرة أن تترك ابنها نهبا للضياع فى غياهب قارة كبرى دون أن تعرف أين هو ، ولا ماذا جرى أو يمكن أن يجرى له . انتهز حلمى الفرصة:

- سبق أن أكد لك أنه لا يرغب فى الارتباط بك
- دلنى بالله عليك ماذا يمكننى أن أفعل الآن..
- الآن لم يعد لك أحد فى هذه الدنيا غيرى. أحبك يا نشوى. أحبك
- اندفع نحوها محاولا احتضانها وتقبيلها. قاومت بشدة وهى منهارة فى بكاء أشبه بالعويل.
- أرجوك يا حلمى. اتركنى وحدى أرجوك. حرام عليك. ارحم ضعفى وعذابى
- حرام عليك أنت أن تعذبنى هكذا

تركته وغادرت المستشفى مسرعة وحدها الى الشارع ، وهى لاتدرى الى أين تذهب ولا ماذا تفعل.

فى غمرة اضطرابها ولهفتها على الفرار من جنون حلمى وهى تعبر الشارع ، اصطدمت بعربة مسرعة صدمة عنيفة. لم تنتبه الى أن اشارة مرور المشاة كانت مغلقة. انتهت حياة نشوى فى تلك اللحظة!

شحن حلمى الجثة الى مصر. تمنى من قلبه أن يجد انسانا يلقي بنفسه على صدره ويبكى ولا يتكلم. كان الدكتور مرقص زميل الدراسة قد دعاه لزيارته من قبل. قرر أن يذهب اليه. هناك قدر عظيم من التفاهم والمحبة يربط بينهما منذ أيام الجامعة. أفرغ كل ما بجعبته أمام صديقه القديم الذى كان يستمع اليه باخلاص شديد. عبر له عن شعوره بالذنب والندم تجاه نشوى. هو على ثقة من أن هذا الشعور سيظل يلزمه ولن يفارقه طيلة حياته. أقسم ألا يذوق الخمر مرة ثانية منذ أن رأى دماء نشوى تنزف تحت العربة. اعتذر لصديقه عن إغراقه فى كم من الأحزان التى لاناقة له فيها ولا جمل. قال مرقص انه كان يجلس فى بيته وحيدا كاليتم منذ يومين، اذ سافرت الزوجة والأولاد الى ولاية أخرى لزيارة حماته. كان يتوق للقاء إنسان يتكلم معه ويخفف عنه وحدته. أصر على أن ينهى حلمى حجزه فى الفندق الذى يقيم به ، على أن يبيت معه فى الأيام الباقية له بأمرىكا.

وهما يشربان القهوة حكى له مرقص عن قصة نجاحه واستقراره بأمرىكا، وعن عزمه الأكيد - رغم ذلك - على العودة الى مصر الوطن الأم الغالية. سوف يواصل عمله كأستاذ جامعى بكل سعادة ورضا ، رغم الهبوط الشديد الذى سيلحق بدخله. يكفيه أن يتحرر من الشعور بالغربة الذى عاشه هنا اكثر من نصف عمره، وأن يربى أولاده فى بلدهم الحقيقية التى سيموت ويدفن فيها. تعجب حلمى من هدوء مرقص وتوازنه النفسى المستقر ، وأسلوبه الهادىء المريح فى الحوار. سأله ان كان قد شعر بالافتقار عندما حقق أهدافه من الحياة بأن وصل الى مركزه العلمى المرموق ، وربى أولاده وعلمهم ورباهم أفضل تعليم وأحسن تربية وبدأ يستعد للعودة الى الوطن. قال له مرقص:

- فعلا.. أنا أشعر أننى قد وصلت الى حد الاكتفاء التام من طلباتى الدنيوية
- إذن فاطمنن. سوف تضم خيبتك بعد ذلك الى خيبتى ليصيرا خيبتين. أنا تحولت الى شخص آخر منذ انتابنى هذا الشعور.. أن تكفى بالوصول الى ذروة تحقيق أقصى درجات الطموح ، ثم لا تعرف ماذا تفعل بعد ذلك!
- أعتقد أننى لن أتغير. أنا أدرس خطواتى جيدا. آخذ بالأسباب وأتكل على الله
- أشعر أن أبى زيدان هو الذى يحدثنى ، لا الدكتور المهندس مرقص

- أخبرنى عن أحواله. أنا لم أستمتع بحديثه الشيق منذ سنوات لم يكن حلمى يعلم أن أباه قد توفى...
- تجاوز الثمانين ، وصحته مثل البمب
- لايمكننى أن أنسى حديثه معى عن جدوى وجود الانسان على قيد الحياة. فيلسوف بلا شهادة جامعية. هؤلاء الناس لايعوضون يا حلمى
- قل لى يا مرقص. بعد هذا العمر الطويل ، هل يمكن أن تلخص لى حياتك فى جملة بسيطة؟
- نعم. علمتنى الحياة ألا أطلب من الدنيا كل شىء. لابد أن تنقص أشياء كثيرة فى حياة كل انسان.. وماذا عنك يا بطل؟
- عشت عمرى مجدولا حتى أصبح شيئا عظيما. ولما تحقق ذلك - حسب اعتقادى - تبين لى أنني لم أعش حياة حقيقية
- وهل جنت هنا لتبحث عنها فى غرب الدنيا؟
- لشدة توهانى لم أعر عليها حتى الآن. هنا أو فى أى مكان آخر.
- اسمع يا حلمى. يهيا لى أنني عرفت مشكلتك
- ياسلام!.. ماهى ياسيدى؟
- أنت بحاجة الى نعمة الشعور بالقناعة والرضا. هذا هو مفتاح الخلاص
- أمرك غريب. من المعقول أن تكون قد تأثرت بأراء أبى لكثرة مجالستك له. أما المستحيل ، فهو أن تكون قريبا للشيخ ابراهيم!

هنا رشوان هالة لحصولها على الماجستير ، وأعلن مفاجأته المؤجلة. قرر التقدم لخطبتها رسميا من أهلها . تحدثا طويلا فى موضوع مسرحيته الجديدة الذى لم يستقر عليه حتى الآن.اتفقا على تأجيل موعد الخطوبة لحين عودة حلمى من أمريكا، رغم أن أحدهما لايعلم شيئا عن موعد هذه العودة ، فلا أحد يمكنه توقع مفاجات حلمى التى لانهاية لها.

فى حوالى الثالثة فجرا ، وصل حلمى الى بيته. دخل متسللا حتى لايزعج أحدا ، لكن رشيدة التى كانت تعانى من الأرق ، شعرت بقدومه. ما أن رأته حتى ارتمت فى حضنه وهى تعانقه بقوة. نسيت كل ما عانته من غيرة وشك وخوف وعذاب وقلق. اطمأن عليها وعلى الأولاد ، ثم طلب منها ألا توقظه من النوم ، حتى يصحو من تلقاء نفسه ، ولو نام يوما كاملا. كان الإنهاك قد طال بدنه بعد أن نال من نفسه ووجدانه. وضع رأسه على الوسادة فنام على الفور. شعر بطمأنينة النفس تعاوده عندما رجع الى عشه وجدرانه الأربعة ، فنام كما لم ينم بهذا العمق فى حياته من قبل. أما رشيدة فلم تنم. راحت تجادل نفسها وهى فى حيرة من أمرها:

- أيعقل أن يكون هذا الرجل نفسه ، هو الذى تصورت أنك تكرهينه وترغبين فى التخلص من حياتك معه!؟
- مهما يكن من الأمر ، فهو والد أولادك ، ولايمكنك الاستغناء عنه مهما حدث
- لكنه استغنى عنك وعن عيالك وراح يلف الدنيا بحثا عن لاشىء!
- تعلمين أنه متعب نفسيا. كان الأولى أن تقفى بجواره
- انه لايستحق. أعماه المال وأظهر معدنه الحقيقى
- مايه معدنه!؟..طول عمره طيب وكريم وحنون
- أفيقى لنفسك يا بنت. لاتنساقي وراء عواطفك. انه لا يحبك ، ولم يحبك يوما
- فمن يحب!؟.نشوى!؟
- ولا نشوى. انه متمركز حول نفسه التى لايجب سواها
- فليكن..لكنى لن أتنازل عنه مهما جرى

بكى بحرقة عندما علم بوفاة أبيه قبل أن يراه. ذكر رشيدة بصديقه القديم مرقص. قال لها ان مرقص قد تعلم من زيدان ما لم يتعلمه هو منه. كان مرقص - أيام الجامعة - يجلس الساعات مع زيدان يستمع ويتعلم، بينما يتركهما حلمي وبنهمك في المذاكرة طبقا لجدوله الذي يضمن له الانتهاء من دراسة كل المناهج ومراجعتها في وقت معلوم.

في لحظة صدق حميمية سألته رشيدة:

- حلمي حبيبي. قل لي ماذا بك. ماذا يحيرك. أنا امرأتك وأم أولادك. لاتخف عني شيئا
 - أنا أقدر مشاعرك فوق ما تتصورين. والحق أنني لا أستحق منك كل هذا الاخلاص والاهتمام بأمرى رغم كل ما فعلته بك
 - صرح لي بما في نفسك. أنا مستعدة لأن أضحي بعمرى لأجلك
- كانت قد قررت ألا تفتح معه سيرة نشوى أبدا حتى تحتفظ لنفسها بهدونه وتكسب رضاه ولا تستثير آلامه.

- 15 -

فى الشركة عبر حلمى لبهاء عن اعجابيه الشديد بسرعة استيعابه لظروف العمل وإثبات جدارته بالاعتماد عليه. عبر له بهاء عن امتنانه الشديد لتشجيعه له. وعده بتنفيذ كل ما اتفقا عليه من قبل، متخذاً منه مثلاً أعلى للتصميم على النجاح والتفوق ، والصعود دائماً الى الأعلى. كانا بانتظار رشوان الذى تلقاه حلمى فى حضنه كما لو كان ابنه الأكبر. صرح له رشوان بقلقه الشديد على أحواله الغامضة المتقلبة ، وسأله عن سبب ما به. تجاهل حلمى سؤاله وسأله عن أخبار المسرحية الجديدة.

- المسرحية جاهزة ، ولكن لا تهرب من سؤالى
- أنا تعبان جدا يا رشوان ، وأبذل جهدا كبيرا حتى أتعافى وأظل متماسكا
- أمرك محير يا أختى. أمنية حياتى الوحيدة الآن أن أعرف ماذا ألم بك
- كل من يعرفوننى سألونى نفس السؤال ، لكنى لم أعرف إجابته. أتمنى أن أجد مخلوقا يفهمنى ويقدر ما بى دون أن أوضح له ما هو غير واضح لى فى الأساس
- أعتقد أنك لو اندمجت فى عملك من جديد ستخرج من هذه الحالة بإذن الله
- ربنا يسمع منك
- وخذ بالك من رشيدة. هذه السيدة تحملت "خبلانك" والتزمت الصبر والصمت ، كاتمة حزنها فى صدرها
- والله أنا فى شدة الحرج من موقفها منى. هى طيبة وبنت حلال ، لكنها لا تفهم شيئا مما يعتمل فى نفسى ، وأنا ألتمس لها العذر
- اذا كنت أنت لا تفهم مابك ، فكيف تطالبها بالفهم؟!

اعتقدت رشيدة أن وفاة نشوى وزيدان فى وقت قصير متقارب ضاعفا من سوء حالته. أما جلييلة فلم تستسلم. كانت مصرة على إخراج أبيها من حالته. استبعدت هذين السببين لأنهما جديان، فأعراض حالته قد بدأت فى الظهور من قبل وقوعهما. ربما ضاعفتا حقا من آلامه ، لكن الأصل فى حالته - كما ترى جلييلة - أن هناك شيئا أو أشياء معينة تنقصه فى حياته. ربما يكون لا يعرفها. ربما يفتقدها ويبحث عنها ولا يجدها.

دافعت رشيدة عن نفسها ، منكرة تقصيرها معه فى أى شىء. طلب منها أن تتولى ادارة الشركة فتولتها. طلب منها ترك الشركة فتركتها. سافر دون أن يخبرها لماذا ولا الى أين ولا متى يعود، ولم تتكلم. ذهب الى أمريكا مع امرأة وحدهما وسكتت. سلم هذه المرأة أسرار شركته دون إخطارها ولم تعترض. انها واثقة انه لا توجد امرأة على ظهر الأرض يمكنها أن تتحمل كل ما تحملته من اهانة وعذاب. كانت جلييلة تبكى وهى تستمع الى أمها. ربتت على صدرها واحتضنتها فى محبة.

رأت جلييلة أن مفتاح الحل السحري يكمن فى إمكانية استغلال التطور الايجابى الرائع الذى حدث فى العلاقة بين حلمى وبهاء.

هنأت هالة رشوان بإصدار مسرحيته الجديدة: "جدول السعادة". عبرت له عن اعجابها الشديد بمستواها الفكرى والفنى الرائعين. لم تبد اعتراضا على أمر يخص الشكل أو المضمون. كما أن معالجة الفكرة الأساسية للمسرحية من خلال الحوار المسرحى وليس من خلال شكل أدبى آخر، كانت من وجهة نظرها ناجحة تماما. فاجأته بقولها انها تعرف بطل المسرحية ، إذ كانت شخصيته واضحة لها كل الوضوح:

- انها شخصية أختك حلمى بحدأفيرها
- نعم. شخصية الانسان الذى يصل الى القمة ثم لا يجد أمامه طريقا غير النزول. لكن ما رأيك فى الشخصيات الأخرى؟
- لقد تعرضت أيضا لشخصية الذى وصل الى القمة ولم يستطع البقاء عليها خوفا منها، وكذلك تناولت شخصية الذى عجز عن الوصول اليها ، فبات حزينا مكتئبا حتى مات

بحسرتة. لكن أعظم ما فى المسرحية أنك لم تغفل الشخصية التى نجحت فى تحقيق التوازن المطلوب. شخصية الذى سعد بهدوء دون أن يهتم بأن يصل الى القمة أو لا يصل ، وكان سعيدا بكل خطوة يخطوها بلا نهم أو تعجل ، راضيا عن نفسه تمام الرضا.

قبلت يده وجبينه ، وتوجهنا الى حلمى ليسلمناه نسخة من النص ويحددان معه موعد اعلان الخطوبة.

تعجب حلمى من نفسه حين اكتشف مفاتيح شخصية ابنه بهاء، وكأنه لم يعرف هذا الانسان من قبل. صارت بينهما صداقة رائعة قامت على التفاهم والصراحة واستعادت الحب الذى كان ضائعا بينهما. أصبح بهاء يناديه باسمه مباشرة مثلما كان ينادى هو أباه زيدان من قبل. أما جلييلة فقد نجحت فى زمن قياسي فى أن تأكل عقله وقلبه ، فصار يدللها كطفلة ويجيب لها كل رغباتها. حكى له كثيرا عن زميلها فوزى الذى يجمع بين الأدب والجرأة، فضلا عن تفوقه الساحق على جميع زملاء دفعته ، رغم تواضع مستواه الاجتماعى. رتبت لفوزى زيارة بحجة تبادل الكتب والمذكرات. كان غرضها الرئيسى من هذه الزيارة هو معرفة رأى أبيها فيه. قال حلمى:

- لازم أن أرى هذا الولد لسبب مهم جدا
- ترى ما هو هذا السبب يا جميل؟
- لأنه طلع أشجع منى ومن جدك أيضا
- كيف؟
- أنا عملت مالم يستطع أبى عمله ، أما فوزى فعلم مالم أستطع أن أعمله
- والله ما انا فاهمة شيئا

فى حفل الخطوبة أسرت رشيدة الى رشوان بشكوكها التى لم تتبدد بعد بشأن حلمى. كان يبدو لها فى ظاهره سعيدا ، لكن قلبها لم يطمئن لعودته الى حالته الطبيعية. عارضها رشوان بشدة ولامها على سوء ظنونها. قالت له بثقة:

- بكرة تشوف يارشوان
فى نفس الحفل قدمت جلييلة فوزى لأبيها. داعبه حلمى بعبارات ظريفة ، ثم صرف جلييلة بذوق حتى يتمكن من الانفراد به.

- هل يمكنك أن توضح لى باختصار وبسرعة ، مفهوم علاقتك بابنتى؟
- هل تسمح لى بسؤال قبل الاجابة؟
- تفضل
- هل سؤال حضرتك هذا لمجرد الاستفسار ، أم أنه يحمل معنى الشك فى النوايا؟
- اجابتك هى التى ستحسم لى الأمر
- لو قلت اننى أحبها وأرغب فى الزواج منها قبل أن أكون مستعدا لذلك ، سأكون فى نظرك انسانا سطحيا متسرعا. ولو قلت انها مجرد زميلة تبادلنى الاعجاب أكون كاذبا
- اذن فماذا تقول؟
- لا أستطيع أن أقول أكثر من أننا صديقان متفاهمان الى أبعد الحدود فى كل شىء تقريبا، وتفاهمنا هذا يصل بنا الى درجة الحب ، ويؤهلنا مستقبلا للزواج!
- نادى جلييلة وهو يضحك من قلبه متسائلا فى دهشة:
من أين جنت بهذا الولد يا عفريته؟
- أنا لم أجيء به يا بابا حلمى. هو الذى جاء وحده!
- آه يا شياطين!!

حضر بهاء حفل الخطوبة متأخرا. كان منشغلا بالعمل فى الشركة. تعجبت أمه من جديته الطارئة:

- سبحان مغير الأحوال. والله أنا لا أصدق أذننى ولا عينى
- لا اله الا الله. يعنى أصيغ وأضيغ لايعجبكم. ألتزم وينصلح حالى لايعجبكم. أعمل ايه يا قمر حتى ترضى عنى؟
- قال ذلك وهو يقرصها من خدها مداعبا. سألته عن أحوال أبيه بحكم احتكاكه الطويل معه فى العمل. قال لها بلهجة حزينة:
- والله يا ماما أنا غير مطمئن. هدوؤه ظاهرى. لكن باطنه ما زال غير مستقر كيف؟!
- ربما يكون متجها الى نوع من الدروشة ، والله أعلم وكيف توصلت الى ذلك؟
- ردد أمامى وهو شارد أكثر من مرة أنه ضيغ عمره يجرى وراء وهم وسراب يادى النيلة!! وهم ايه وسراب ايه!!
- الفلوس والنجاح والشهرة.. هكذا أصبح يرى هذه الأشياء ألم يقل لك فيما كان يريد أن يمضى عمره إذن؟
- الحق أنه لم يقل
- خيبة فى طولك وعرضك
- لاتزعلى يا قمر ودعى الملك للمالك
- وواصل حلمى حديثه مع فوزى:
- ماذا يعمل والدك؟
- موظف بوزارة الأوقاف. مستواه المادى ضعيف ، لكنه أسس أسرة سعيدة
- هل تؤمن بأن المفروض ألا يرتبط الرجل الا بامرأة من نفس مستواه الاجتماعى؟
- لو كان الأمر كذلك لما كنت أمام حضرتك الآن
- أريد منك تفسيرا مباشرا
- مع احترامى لحضرتك ، هذه الفكرة غير صحيحة، لأن أساس الارتباط هو العقل والقلب ، لا الفلوس ولا المستوى الطبقي. عندك مثلا الدكتور جودة عبد الخالق أستاذ الاقتصاد ووزير التموين الأسبق ، نشأ فى أسرة شديدة الفقر فى قاع الريف المصرى ، لكنه أحب وتزوج الدكتورة كريمة كريم سليلة الحسب والنسب والرقى الاجتماعى. لقد بلغا من العمر أرذله ومازالا متحابين بعد أن كافحا معا لإنجاح ارتباطهما.
- أذكر أن هذا الرجل هو الذى وضع بذرة حل معضلة رغيف الخبز فى مصر ، واستفاد منها الوزير الذى لحق به
- نعم..وسوف أعيرك الكتاب الذى وضعه معا يحكيان فيه قصة نجاحهما ، بعنوان "حكاية مصرية"
- أفهم من حديثك المطول الممل أنه يمكن أن تأتى الى يومنا وتطلب منى يد جلييلة بكل بساطة؟!
- هذا مؤكد يا عمى
- أما أنك بارد صحيح
- آسف يا عمى. ربما خانك اللفظ ، وكنت تقصد القول إننى واثق بنفسى
- لا ، بل أقصد بالفعل أنك بارد ومغرور
- كما ترى سيادتك
- افرض أننى رفضتك وأسأت معاملتك. كيف سيكون موقفك حينئذ؟
- سأضطر الى أن آخذ الموضوع ببساطة وأقول ان الزواج قسمة ونصيب ، ولكن بعد أن استنفد مع جلييلة كل أسباب محاولات اقناعك بالتراجع

- وماذا لو لم أراجع؟
- سأظل حزينا لفترة زمنية لا أعرف مداها ، ، ثم يتكفل الزمن بعد ذلك بالنسيان
- أنا واثق من أنك ستقاتل حتى تأكل عقل جلييلة لتقتنى بك
- لن أفعل هذا يا عمى
- بل ستفعله ، لأنك تحبها ولن تتخلى عنها بهذه البساطة
- هناك فرق بين أن أحبها ، وأن أتسول حبها. ليس هذا في طبعي يا بشمهندس
- شرد حلمي طويلا ، حين ابتعثت ذاكرته موقفه المتخاذل من داليا مقارنة بموقف هذا الشاب.
- تذكر حواراه مع داليا في أمريكا:
- " قل لي أرجوك. لماذا لم تطلبني من أبي؟ لماذا جنت؟.المجرد أنه كان وزيرا؟..هه!!.. ها هو اليوم على المعاش ولا أحد يسأل عنه. مثله مثل أى موظف حكومة درجة عاشرة.
- يعنى لو كنت...
- طبعاً ، لكنك خذنتنى للأسف بعدم ثقتك بنفسك وشعورك الخاطيء بالدونية. جعلتني أيامها أحتقر نفسي
- كنت أظن أن هناك علاقة بينك وبين توفيق
- هه!!..توفيق الفاشل الصايع؟ بالله عليك كيف ظننت أن تكون هناك علاقة بينى وبين بنى آدم بتلك المواصفات التي تعرفها عنه؟..عموما قد انتهى الأمر وأخذ كل منا نصيبه من الحياة
- ليتنى ماجنت اليك!!...."
- عندما لاحظ فوزى شروده سأله:
- هل تفضل أن أتركك وحدك يا عمى؟
- لا. لم ينته كلامي معك بعد. قل لي كيف هي علاقتك بوالدك؟
- علاقة محبة وصدافة وتفاهم
- هل لديه فكرة عن علاقتك بجلييلة؟
- بالتفصيل الممل
- وما رأيته؟
- للأسف ، رأيته مطابق تماما لرأى حضرتك الذى أعارضه
- هل تتحاوران كثيرا؟
- أحيانا نظل نتكلم حتى الصباح
- نوبة عظيمة من الحسد اجتاحت حلمي تجاه هذا الولد وأبيه ، عندما قارن علاقتهما بعلاقته
- ببهاء. تساءل فوزى:
- لم هذه الأسئلة عن أبى؟ ألم تكن علاقتك بأبيك طيبة؟
- بالعكس. طالما قال لى كلاما هاما، لكنى لم أنتبه الى مقالته الا بعد أن مات ، وبعد تعرضى لمتاعب كبيرة..فى ليلة دخل على غرقتى وأنا غارق وسط لوحات الرسم الهندسى. كنت يومها فى البكالوريوس. قال لى:
- " لماذا أرى فى وجهك كثيرا من الخوف والقلق والعصبية بينما أنت تعمل. أتعجب لذلك فأنت دائما متفوق ، ولا موجب لذلك
- بغير الخوف والقلق والعصبية لن أتفوق
- لماذا يخلو قلبك من الطمأنينة يا ولدى؟
- لا أعرف. أرجو أن تتركنى يا أبى فوقتى ضيق. دعنى أستكمل عملى
- لن يستريح قلبك من الخوف والقلق مالم تظمن وتتوكل على الله
- اسمح لى يازيدان أن نؤجل الكلام فى هذا الموضوع لوقت آخر...."
- ويواصل حلمي حديثه مع فوزى:

- بهذا الشكل كنت دائما أقطع الحبال التي يحاول أن تربطني به ، رغم أنني كنت أحبه جدا
- قال فوزى بتأدب شديد:
- أخشى أن تكرر معى فى المستقبل غلطتك مع أببك فى الماضى
- ماذا تقول يا ولد!؟
- لاتؤاخذنى ، حضرتك لاتحب أن تسمع غير صوتك
- قم. المقابلة انتهت. رح لحبيبة القلب
- لكنى لم أسمع رأيك النهائى فى
- أعطيك درجة مقبول وأمرى لله
- قام فوزى وقبل رأس حلمى وهما يضحكان فى سعادة غامرة.

قرأ حلمى مسرحية رشوان ، فانقلب الى أسد هائج. ثار على أخيه ثورة ساخنة. من الذى قال ان هناك قاعدة ثابتة على المستوى الانسانى تقول ان من يصل الى القمة لامفر من نزوله بعد ذلك؟.. هناك من يصل الى القمة ويظل متربعا فوقها حتى الموت. ارتبك رشوان أمام غضب أخيه غير المنتظر:

- هذه سنة الحياة يا أخى. طفولة فشباب فشيخوخة فموت، وقس على ذلك أى طموح انساني ، تجده يخضع لنفس التطور
- عموما فقد عرفت قصدك الخبيث من المسرحية. المسرحية ما هى الا رسالة موجهة الى ، وانا أرفضها شكلا ومضمونا ، كما أسحب عرضى بتمويلها
- أسأت فهمى يا أخى
- كيف أسىء فهمك وقد وصفتنى صراحة بأننى انسان عديم الايمان؟
- هى مجرد مسرحية ، وأنا لم أقصدك بصفة خاصة ، وما قلته ينطبق على كثيرين غيرك
- من فضلك كفاك كذبا. أتركنى وحدى لو سمحت.

أصيب بهاء بصدمة شديدة عندما دخل على حلمى فى غرفته ناسيا أن يطرق الباب للاستئذان. وجده يبكى فى صمت. عرض عليه أن يذهبا - ولو فى السر - الى أى طبيب يحدده. قال حلمى:

- ان الطبيب الوحيد القادر على علاجى هو أنا نفسى
- فماذا تنتظر؟
- الكارثة الحقيقية أن يكون الحل الوحيد فعلا هو النزول ، وهذا ما أخشاه
- أقسم لك بحبى للطعام أنا لم أفهم كلمة مما قلت
- اسأل عمك رشوان الذى وضع أصابعه داخل جرحى بلا رحمة
- ازدادت المسألة غموضا أمام بهاء. اقترح عليه أن يسافر الى العزبة التى اشتراها ونساها ، ليقتضى وقتا هادئا مع الأشجار والطيور والغيطان والترعة والهواء النقى الخالى من عادم السيارات.

بعد عدة أيام ، نقل بهاء قلقه الى أمه وعمه تجاه حالة أبيه النفسية ، فضاغف من قلقهما المستقر لديهما من قبل. أخفى عنهما أنه رآه يبكى وحده ، ولم يعرف لماذا فعل ذلك. رشوان مصمم على أنها حالة اكتئاب حادة بحاجة ضرورية الى طبيب.

بينما كان أحباء حلمى فى حيرة من أمره ، كان حلمى منشغلا بجدل عبثى مع حلمى الآخر عن علاقته الحالية بعدوه الذى سبق أن حدثه عنه ، والذى أسماه بالزمن:

- خلاص. الحرب بيننا انتهت. هات كأس ثالثة ، فقد توصلت الى أن قمة الجبل ارتفاعها نسبى
- أقطع ذراعى لو كنت أفهم شيئا عن هذه النسبية

- أفهم يا حبيبي. الناس اعتبروا الملايين التي أملكها هي القمة أو الذروة
- اللهم صل على النبي. وكم تبلغ القمة في نظر سعادتك يا محترم؟
- بضعة ملايين ، تتضاعف مع الوقت
- أنا أتعجب ، من أين وكيف تجيئون بكل هذه الفلوس
- نحن لانجىء بها يامغفل. هي التي تختار من تجيء اليه
- يخيل الى أن الطلوع الى الأعلى شيء مرهق..والا ايه؟!!
- اعلم يا حلمي أن طلوعي لا يمكن أن يتوقف ولو وصلت الى ألف مليون. أرجوك أن تبلغ هذه الرسالة الى رشوان. قل له ان حلمي لن ينزل أبدا. سيظل يطع ويطلع بلا نهاية
- سأله البارمان ساخرا:
- هل تحب أن آخذ منه الرد على رسالتك ، أم أنقلها له وأمشى على طول؟

- 16 -

على ضوء ما أفضى به حلمي الأول الى حلمي الثاني، صحا الأول من يومه فى صباح اليوم التالى لهذا الإفضاء الخطير. حالته المعنوية فى السماء. يصفر ويغنى ويضحك مع عائلته. يدعوهم جميعا لتناول الطعام خارج الفيلا. قال لزوجته:

- أوحشتنى جدا يا رشيدة. من زمان لم نتكلم سويا. أنا أشعر بذنب كبير تجاهك
- لاتقل هذا يا حلمى. ربنا يعطيك الصحة ويخليك لنا
- أزمة نفسية ومرت بحمد الله. أشعر الآن بالشفاء التام منها
- ياما انت كريم يارب. كم أنا فرحانة
- ان شاء الله سأعود الى عملى وتعود حياتنا الى طبيعتها
- الحمد لله. أنا فى منتهى السعادة. المهم ألا تكون هناك جداول

تحت تأثير التحول الانقلابى السار الذى حدث لحلمى ، قام بمصالحة رشوان ، واعتذر له عما بدر منه من عنف تجاهه. لم يكن رشوان غاضبا منه ، فهو بالنسبة له رمز عظيم، من حقه عليه أن يغضب منه أو يثور عليه أو يزق فى وجهه. أخبره أن مخرجا شهيرا قد تحمس للمسرحية، لكن المشكلة فى المنتج – حلمى زيدان - الذى يصر على إدخال تعديل جوهرى على فكرة المسرحية. ضحك حلمى وقال له:

- هناك فكرة ثالثة غير فكرتى وفكرتك، وبناء على ذلك سأمول المسرحية
- ماهى؟

- ستعرفها فى حينها بالفعل لا بالكلام

لم تتخلص رشيدة من شكها فى أن حلمى قد شفى نهائيا مما ألم به ، وإن لم تعرف السبب فى ذلك. أما رشوان وهالة فقد كانا على ثقة من أن حلمى يدبر أمرا ما قد خطر له ، وهو السر الحقيقى فى تحوله الإيجابى المفاجيء. الذى أكد على ذلك أنه اقترب بشدة من بهاء وشجعه على المضى قدما فى تفوقه بالدراسة ، وفى دربته على العمل بالشركة. الغريب أنه طلب منه أن ينسى اتفاقه القديم معه بأن يصبح مثله يوما ، ويتخلى عن بنوده. قال له :

- أريدك أن تكون أنت نفسك، لاصورة منى. لايهم أن تكون غنيا جدا. لاتتحرك فى حياتك
- بسرعة الصاروخ.

سأله بهاء حينئذ فى دهشة بالغة:

- ما الحكمة فى إلغاء ما تم بيننا من اتفاق؟

- لا أريدك أن تحصر تفكيرك فى تحقيق هدف واحد من الدنيا. وزع وقتك بين العمل والراحة والقراءة والهوايات وسائر المتع المتاحة. ستجد الدنيا جميلة، ولن تمشى فى الطريق المسدود الذى مشيت أنا فيه

احتفلت الأسرة بعيد ميلاد جليلى فى العزبة. تصادف أن كانت هدية فوزى لها ، كتابا لبرتراند رسل بعنوان "عزو السعادة". لخص فوزى لهم الكتاب فى فكرة رئيسية هى أن سعادة الانسان تتحقق بضرورة أن ينوع اهتماماته فى الحياة، وألا يجعلها قاصرة على هدف واحد ، أو على إنجاز الشئون الحياتية الأساسية فقط كالمأكل والملبس والمشرب. أراد حلمى أن يخرجه ، فطلب منه أن يعطى مثلا تطبيقيا فوريا على كيفية تحقيق هذه الفكرة الفلسفية. ابتسم فوزى وقال بكل هدوء:

- نعم..سعادتك تذهب الآن لتصطاد لنا سمكا من الترعة، وبهاء يشوى لنا الأذرة ، وطانط تشوى لنا السمك..

- وأنت يا فالج ، ماذا ستفعل؟

- سأعزف لكم على عودى

قفزت جليلى قائلة بفرحة غامرة:

- وأنا سأغنى وأرقص

قالت رشيدة مازحة:

- عيب يا بنت.. لاغناء ولا رقص الا بعد الزواج
انتهز حلمى الفرصة ، فقلب المزاح الى جد ، فى مفاجأة من مفاجآته المعهودة. أرسل فى
استدعاء المآدون الذى عقد قران فوزى على جلييلة ، ثم طلب منها أن تغنى.

أتى صمود هالة فى المطالبة بحقها بثمرته المرجوة بعد طول صبر وانتظار. وصلها خطاب من
رئاسة الجمهورية إذ تقرر عمل تحقيق بإدارة الجامعة فى أمر أحقية تعيينها معيدة بالقسم.
قالت لرشوان فى ثقة وسعادة:

- أنا واثقة أننى سأنجز الدكتوراه وأنا معيدة بالكلية بإذن الله
فى عمرة الأفراح المشكوك فى حقيقتها، عاد الدكتور مرقص من أمريكا بصحبة أسرته ، وقد
قرر أن يمضى بقية حياته فى مصر فرحا بعودته الى وطنه وبيته وأهله وأحابه، فلا غربة ولا
اغتراب ، وانما هدوء ورضا وسكينة بال. استمع اليه حلمى وهو شارذ البال. كان فى واقع
الأمر يغبط صديقه على قراره ومشاعره، لكنه كان يفكر فى أمور أخرى لا يعلمها أحد، وربما
كانت تتنابه مشاعر غامضة لايمكنه الإفصاح عنها لأحد.
رغم أنه لم يكن يبدو عليه أنه يعانى من أى ألم مرضى ، الا أنه سقط فجأة وقد غاب عن
وعيه كلية. قبل ذلك بدقائق كان مرقص يقول له:

- الحمد لله أنك حللت عقدتك بيدك ، ومازلت تصعد كما تريد
- نعم يا مرقص ، ولن يتوقف الصعود
ثم شهق شهقة مفاجئة سقط على أثرها الى الأرض!
فى المستشفى كانت تعليمات الأطباء قاطعة بضرورة الراحة التامة لمدة أسبوعين على الأقل
، حتى تزول آثار النوبة القلبية. قال حلمى لمرقص:
- المرض هو الشىء الوحيد الذى لم أعمل له حسابا فى جداولى
- على مهلك قليلا يا حلمى.. تمهل وخذ أنفاسك
- وأعود الى الفراغ والقلق؟!
- يا أخى ليس الأبيض بالضرورى أو الأسود. هناك الرمادى
- أكره هذا اللون
- أن تتعايش معه أفضل من ألا تطول الأبيض أو الأسود

أجريت بروفات المسرحية بنجاح. خاف رشوان من فرحة هالة الطاغية. قال ان لحظات السعادة
عند الانسان دانما ما تقترن بالخوف من زوالها. قالت هالة:

- دع الغيب لصاحبه. لا تفكر فى الماضى أو المستقبل. تمتع بلحظتك ودع الباقي على الله
- لا أعرف ماذا كنت أفعل بدونك أيتها الفيلسوفة الجميلة

رفض فوزى الوظيفة الكبرى التى عرضها عليه حلمى ، أن يتولى الشئون الادارية بالشركة.
فضل أن يعمل مستقلا بعيدا عن صهره. أقنعه حلمى بأن هذا العمل مرحلى للحصول على دخل
مناسب لحين أن يعثر على العمل الذى يبحث عنه، والذى يختاره بنفسه. قال له حلمى الذى لم
يعد يستطيع اخفاء حبه له:

- اسمع يا ولد. ان لم تشتغل جيدا ، فمن الممكن أن أطرده على الفور
- قبلت الشرط يا عمى ، لكن من حقى أن أسألك فى المقابل كم سيكون راتبى ، فربما
لا يعجبني
- كم تريد؟
- اعطنى فرصة لأفكر.

تأكدت ظنون رشيدة وشكوكها عندما لاحظت أن بهاء يسهر كثيرا فى العمل حتى الفجر. حاولت أن تتفهم الأمر ، فتبين لها أن حلمى قد أحدث انقلابا خطيرا فى أسلوب عمله بالشركة. تعجبت كيف يفعل ذلك وهو لم يغير فراش المرض بعد. اقتحم حلمى مقاولات ثلاث كبرى تتطلب جهدا كبيرا ومالا وفيرا واتصالات جوهرية مع مسئولين كبار ، وكلها أمور لا تتناسب مع وضعه الحالى. أوضح لها بهاء أن والده منذ أن هاجمته النوبة المرضية الأخيرة أصبح يفكر كثيرا فى الموت. تسلطت عليه فكرة أن يسابق الموت حتى يستطيع أن يحقق رقما معيناً قبل أن يموت. الذى حير بهاء أن أباه رغم ذلك كان يصر على نصحه وتوصيته بالأى يقلده أو يخطئ خطأه، فلا أهمية لأن يسرع أو أن يسعى للتميز والتفوق الصارخين ، ولا أهمية إطلاقاً لكلمة "جدا" فى أى شىء. لايهم أبدا أن يكون غنيا جدا أو ناجحا جدا ، أو أى "جدا" أخرى. ازدادت حيرة رشيدة فى أمر زوجها الذى لم تستطع رغم طول معاشرته أن تفهمه الفهم الصحيح، بحيث تدرك أو تتوقع ما يمكن أن يفعله فى أى وقت.

فى غمرة الأحداث فوجئ حلمى بزيارة توفيق له فى الفيلا ، بعد أن أرسل إليه باقة من الورد. شكره حلمى وعبر له عن سعادته برجوعه الى العمل والسعى الجدى فى الحياة، خاصة بعد وفاة أمه التى كانت سببا جوهريا فى إفساده. قال له حلمى:

- جئت فى وقتك تماما يا حلمى ، ولو لم تجيء لبحثت عنك
- أنا تحت أمرك يا بشمهندس
- أنا بحاجة الى رجل قلبه حديد مثلك فى ظروف شغلى الحالية
- لاتؤاخذنى يا باشا. هذا الشغل أبيض أم أسود؟
- رمادى
- حسب معلوماتى أنك لا تعمل الا فى الأبيض..ما الذى جرى؟
- ظروف
- عموما أنا جاهز
- عارض مرقص هذه الصفقة قائلا:
- كأنك تقامر على عمرك وتاريخك
- هو كذلك فعلا
- وماذا لو خسرت لا قدر الله؟
- لاتقدر البلاء قبل وقوعه
- مسكين يا حلمى. أنت تتفنن فى حرمان نفسك من السعادة
- وماهى السعادة يا دكتور؟..أين داليا؟ أين نشوى؟ أين زيدان؟!!
- لن نتجادل فى هذا الموضوع، كما لن أتركك تدمر حياتك وحياة من يحبونك
- للأسف جئت متأخرا يا مرقص. الصاروخ قد انطلق فى الفضاء

لاقت مسرحية رشوان نجاحا غير متوقع. أهدى رشوان نجاح مسرحيته الى أخيه صاحب الفضل فى إنتاجها رغم اعتراضه على مضمونها. هنا حلمى مؤكدا على أنه أول من اكتشف موهبته مبكرا ، ودفعه الى كتابة المسرح بصفة خاصة. كان حلمى على يقين من مطابقة شخصية البطل لشخصيته، فيما عدا التغيير الأخير الذى طرأ عليها من حيث نقض الالتزام بالشروط الثلاثة منذ لحظة استقبال توفيق فى بيته. كان ذلك قد حدث ذلك بعد الانتهاء من كتابة المسرحية وإخراجها وعرضها. لم يشأ رشوان – رغم جميل حلمى عليه – أن يكتف بصوت ضميره، إذ صارح حلمى بقلقه البالغ لعودة ظهور توفيق على مسرح الشركة. نهره حلمى ، معتبرا ذلك بمثابة تدخل فى صميم عمله لا يمكن أن يقبله من أحد.

بجهد الخالص عثر فوزى على وظيفة ممتازة بإحدى الدول العربية. اصطحب معه جلييلة ، وكانت الأسرة فى وداعهما بالمطار. كانت حسنية تمصص شفيتها احتجاجا على سرعة التفريط فى جلييلة بتركها تسافر مع فوزى الذى لم تظمن اليه الاطمئنان الكافى الذى يسمح بهذا التفريط. كما أنها انتهزت الفرصة لتوبخ بهاء على ذنب لم يرتكبه ، وهو تناقص زيارات حلمى لها. ضحك بهاء وقال لها:

- أعذريه يا جدتى. بابا لا يدري بنفسه. انه فى التوهان الأعظم
- لماذا لا يحمى الله على ما هو فيه ويهدم. الله يرحمك يا زيدان، ياما نصحتة. قل له انى أريده فى أمر هام
- لا يستطيع حلمى أن يرد طلبا لأمه البديلة الحنون حسنية. وضعته فى موضع الاستجواب الذى لا يلين ، وهى تنهال عليه بالأسئلة الاستنكارية:
- أليس هذا هو توفيق صاحب واقعة الكافتريا بالجامعة؟
- هز حلمى رأسه علامة الموافقة.
- أليس هذا هو توفيق الذى حرمك من حبيبك داليا؟
- أليس هذا هو ابن المرأة التى كانت على وشك الزواج من حميك للاستيلاء على ثروته؟
- كلما هز حلمى رأسه علامة الموافقة ، هزت هى الأخرى رأسها علامة الدهشة والاستنكار. أخيرا سألته بصراحة:

- قل لى ماذا تريد من هذا البنى آدم المشبوه؟..أنا متشائمة منه بشدة
- العمل الذى يقوم به لى فى الوقت الحالى لا يعرف أن يقوم به غير المشبوهين
- وهل تمشى فى الحرام على آخر عمرك يا ولد؟! ولد؟!!
- نعم ، فأنت من نام فى حضنى حين كان أبوك حائرا بك وبجلييلة فى البحث لكما عن مكان تنتظرانه فيه لحين عودته من العمل
- يا أمى أنا لم ولن أنسى جميلك طول العمر. أنت أعلى انسانية فى حياتى
- لو كنت صادقا فيما تقول ، اقطع رجل توفيق من حياتك
- من الذى وشى بى اليك؟ أهو رشوان أم رشيدة؟
- لارشوان ولا رشيدة. أنا لم أخرف بعد يا حلمى ، وما زال عقلى سليما.
- كان بهاء أكثر الرافضين لعودة توفيق، فهو الأكثر دراية بطبعه الخسيس منذ أن كان غارقا معه فى الفساد حتى أذنيه.

استقبله بفتور وجفاء فى مكتبه بالشركة، حين جاء يقدم كشف حساب عن الرشاوى والاكراميات التى كلفه حلمى بتوصيلها الى عدد من المسئولين. اعترض بهاء بشدة على ضخامة المبالغ المدونة والتى تجاوزت مليونى جنيه. فوجيء بهاء بأن هناك أوراق رسمية تفوض توفيق فى بعض المعاملات المالية ، وتعطيه الحق فى التصرف بشأنها وعلى مسئوليته وحده. انتهز توفيق الفرصة وأطلع بهاء على هذه المستندات وهو يتحدث من موقع قوة قائلا:

- لو جاءت الطوبة فى المعطوبة ، أنا الذى سأحاسب وليس والدك.
- لم يشأ بهاء أن يتخذ أى قرار بشأن هذه المسألة الشانكة ، تاركا الأمر برمته لأبيه المريض.
- فى البيت أسر الى أمه بما حدث. لظمت على وجهها خوفا على مصير زوجها الذى وضع ثقته فى أخط مخلوق عرفته الأسرة. فى الشركة دق جرس التليفون. رفع بهاء السماعة. جاء صوت حلمى زاعقا مزجرا مؤنبا لبهاء أمرا إياه بتسليم توفيق كل ما طلبه من مال ، وبأقصى سرعة.

انسحب بهاء بهدوء من الساحة بعد أن حضر حلمى وهو فى حالة واضحة من الإعياء. قرر ألا يعود الى الشركة مرة أخرى طالما تواجد بها توفيق. بلغ الفزع مبلغه برشيدة، لكنها لم تجد ما تفعله أكثر من تحذير حلمى من الطريق الجديد الذى استمرأ السير فيه متعاوناً مع الشيطان.

جلس حلمى فى مكتبه بالشركة ومعه توفيق. حاول استمالة بهاء وهو يهاتفه لأن يعود الى الشركة ، لكنه لم يلق منه الاستجابة. أبلغت السكرتيرة عن شاب ينتظر بالخارج يدعى سالم .
 ذهل حلمى عندما رأى أمامه شبعا هزيلا نحيفا يكاد يسقط من طوله. جاء يسأل عن أمه!!.. انهال عليه حلمى بقذائف من السباب والشتائم وهو فى ذروة الغضب والانفعال:
 - أنت مجرم شاذ، لاتستحق أى عطف. جزائك هو الموت. أنت قاتل أمك وأبيك. تركته يموت بالمستشفى وهربت الى الخارج. طردتها حين جاءت اليك لتنفذك مما كنت فيه من فشل وضياع. من أنت؟ من أى عجيبة خلقت؟.. شيطان!!.. ابليس!!.. اخرج من هنا ، ولا ترينى وجهك الكريه هذا مرة أخرى.
 لكنه بعد أن هدأ وتمالك أعصابه ، كلف أحد معاونيه بإدخال سالم أقرب مصحة للحد من تدهور حالته الصحية ، على أن يجد له عملا مناسباً بعد خروجه. لم يفعل ذلك الا اكراما لأبيه عماد وأمّه نشوى ، صاحباً الأفضال عليه.

يظل ما فعله توفيق مجهولا حتى النهاية. هل هو الذى ورط حلمى عن عمد ، وأبلغ عنه تنفيسا لحقده القديم عليه ، أم أن أحد المتضررين ممن لم يحصلوا على نصيبهم الذى كانوا ينتظرونه من وليمة الرشوة الكبرى ، هو الذى أوقع بحلمى ، أم أنه فعل رقابى اجتهادى حقيقى من قبل الجهات الرسمية!!..
 من المؤكد أن حلمى سيعرف الحقيقة عندما تتولى النيابة الأمر. حين كان يجلس فى الحجز بانتظار ترحيله الى النيابة ، كان زيدان يجلس بجواره فى خياله وضميره وعقله وقلبه، وهو يحذر من نفسه ويحثه على طمأنينة القلب والتخلص من النهم والتكالب ، وعلى حمد الله وشكره على نعمه الزائدة.
 تزاحمت استدعاءات الذاكرة فى رأسه ، إذ طلقت داليا من زوجها ثم تزوجت من شاب صغير أذاقها العذاب ، فانتحرت، وداهمه كابوس يقظة رأى فيه أعمدة طاهر بك الخمسة وهى تحمل قصره المنيف، وقال زيدان انه لكل انسان حظه المكتوب من عناصر السعادة المختلفة ، وهو لم يهنأ يوما بالسعادة التى ينعم بها البسطاء منذ أن ترك البيت القديم ، وانتقل بأسرته الى مجمع الفيلات فى الداون تاون بالقرب من جرين بلازا ، كما أن حسنية لم تستطع البقاء بهذه الفيلا، وعادت الى بيتها القديم المطل على شاطئ رأس التين ، وعندما سأله البارمان عمن يجرى وراءه قال انه لايرى ولايمكن الامساك به يا حمار فهو الزمن، وقال رشوان فى مسرحيته باستحالة الصعود الأبدى الذى ليس له نهاية.
 اقتحم جندى ريفى شروده وهو يتأمله بسذاجة قائلا:
 - أهو أنت البيه الكبير الذى نرى صورته فى الجرائد كل يوم؟
 ابتسم حلمى فى مرارة. واصل الجندى كلامه بنبرة ساخطة وهو يقوده الى مكتب وكيل النيابة بالدور السفلى:
 - يا أخى اتقوا الله. حرام عليكم. ألا تحمدون الله أبدا؟!.. تعال يا أخويا... انزل.. انزل بسرعة!
 ابتسم حلمى مرة أخرى فى مرارة أشد ، وهو يقول بلسان زيدان مرة ، و بلسان رشوان مرة أخرى:
 - هأنا أنزل يا شاويش.. هأنا أنزل!!

سعيد سالم

الاسكندرية 2018/7/17

تعريف بالكاتب سعيد سالم

E mail: saidsalem62@yahoo.com, saidsalem170@hotmail.com

سعيد محمود سالم... من مواليد الاسكندرية 1943

- اسم الشهرة: سعيد سالم
- عضو اتحاد كتاب مصر. رقم العضوية 400
- عضو اتحاد الكتاب العرب. رقم العضوية 624
- عضو لجنة النصوص الدرامية بالادارة المركزية للإذاعة والتلفزيون بالاسكندرية سابقا
- عضو هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
- عضو أتيليه الكتاب والفنانين بالاسكندرية
- عنوان المنزل 5 شارع على باشا ذو الفقار شقة 10 بمصطفى كامل. الاسكندرية
- تليفونات: المنزل 035462869 الموبايل 01224390259
- المؤهلات: 1- بكالوريوس الهندسة الكيميائية 1964. كلية الهندسة. جامعة الاسكندرية
- 2- ماجستير الهندسة الكيميائية 1968. كلية الهندسة. جامعة الاسكندرية
- المهنة: مهندس استشارى بالمعاش

•• مجمّل أعمال الكاتب حتى بداية عام 2018

- (36) عملا مابين الرواية والمجموعة القصصية بخلاف المسرح والدراما التلفزيونية والاذاعية وغيرها
- 1- فى مجال الرواية: (21) رواية
- 2- فى مجال القصة القصيرة: (11) مجموعة قصصية
- فى مجال الدراما الإذاعية: عشرات المسلسلات والسباعيات والسهرات الدرامية بإذاعتى القاهرة والاسكندرية.
- فى مجال المسرح: الجبلية (كوميديّة) أدب ونقد فبراير 2016 – عاليها واطيها (كوميديّة) أدب ونقد مارس 2017
- فى مجال النقد الأدبي: مجموعة دراسات عن أعمال بعض الكتاب المصريين والعرب نشرت بمجلات وجراند مختلفة.
- 3- فى مجال المقالة: - مجموعة مقالات ثقافية وسياسية واجتماعية نشرت بمجلات وجراند مختلفة.
- 4- كتاب بعنوان: " نجيب محفوظ الإنسان" .. الهيئة المصرية العامة للكتاب 2011
- 5- كتاب نقدي بعنوان "الاسكندرية قبل 25 يناير طوفان من الابداع المتألق" .. مكتبة الاسكندرية 2015
- 6- فى مجال الدراما التلفزيونية: 1- مسلسل كوميدي "عاليها واطيها" من انتاج صوت القاهرة عام 2008 من اخراج وائل فهمى عبد الحميد عن رواية عاليها واطيها للمؤلف.
- 2- مسلسل "المقلب" عن رواية المقلب للمؤلف و الصادرة عن المجلس الأعلى للثقافة عام 2009.. تحت التنفيذ .

•• أهم الجوائز التى حصل عليها الكاتب

- 1- جائزة إحسان عبد القدوس الأولى فى الرواية لعام 1990 عن رواية "الأزمة" الصادرة عن روايات الهلال بالقاهرة.
- 2- جائزة الدولة التشجيعية فى القصة القصيرة لعام 95/94 عن مجموعة "الموظفون" الصادرة عن مطبوعات اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- 3- جائزة اتحاد كتاب مصر فى الرواية لعام 2001 عن رواية "كف مريم". اتحاد الكتاب بمصر.
- 4- جائزة اتحاد كتاب مصر فى الرواية لعام 2010 عن رواية المقلب. المجلس الأعلى للثقافة
- 5- جائزة الدولة التقديرية فى الآداب لعام 2012 / 2013
- 6- وسام الجمهورية للعلوم والفنون من الطبقة الأولى عام 2013
- 7- رشح لجائزة النيل 2017

- مجالات نشر قصصه القصيرة:

على مدى ما يقرب من خمسين عاما نشرت له مئات القصص القصيرة والمقالات فى الجرائد والمجلات المصرية والعربية الآتية:
الأهرام-الأخبار-أخبار اليوم-أخبار الأدب-الجمهورية-المساء-أكتوبر- حواء-مايو-الهلال-الثقافة-الكاتب-إبداع- آخر ساعة-روز اليوسف- القصة- عالم القصة-البعث-تشرين- الموقف الأدبي-الأداب-الثورة-الأسبوع الأدبي- البيان-الأنباء- العربي-الفيصل-المجلة-الحرس الوطنى-الشرق الأوسط-الدستور-الرأى-اليوم السابع-صباح الخير- الكويت-البحرين الثقافية-الرافد.

الروايات (23 رواية)

- 1-جلاميو جماعة أدباء الاسكندرية 1976
- 2-بوابة مورو جماعة أدباء الاسكندرية 1977
- 3-مجنون أكتوبر الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979
- 4-آلهة من طين الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985 طبعة أولى
- دار الجليل بدمشق 1986 طبعة ثانية
- 5-عاليها أسفلها وزارة الثقافة بدمشق 1985 طبعة أولى
- دارالمستقبل بالقاهرة 1992 طبعة ثانية بعنوان "عاليها واطيها" ثم
- الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995 طبعة ثالثة
- 6-الشرخ دار طلاس بدمشق 1988
- 7-الأزمنة روايات الهلال بالقاهرة 1992
- 8-الفلوس دار المستقبل بالقاهرة 1993
- 9-الكيلو 101 دار المستقبل بالقاهرة 1997 طبعة أولى
- الهيئة المصرية العامة للكتاب 1999 طبعة ثانية
- 10-كف مريم اتحاد كتاب مصر طبعة أولى 2001
- مركز الحضارة العربية طبعة ثانية 2017
- 11-حالة مستعصية روايات الهلال 2002
- 12-الشيء الآخر دار ومطابع المستقبل بالفجالة ومكتبة المعارف ببيروت 2004
- 13-المقلب المجلس الأعلى للثقافة 2009
- 14-الحب والزمن نشرت على حلقات بجريدة الدستور عام 2007 ثم بروايات الهلال فى يوليو 2011 ثم طبعة ثانية بدار غراب 2018
- 15- الفصل والوصل "هيئة الكتاب 2016"
- 16- استرسال.. مطبوعات الرافد بالشارقة عدد ديسمبر 2016 وطبعة ثانية دار المعارف 2017
- 17- قصة حب مصرية... روايات الهلال نوفمبر 2017
- 18- مذكرات فتاة لم تعثر على عريس... 2018 (دار المعارف)
- 19- أعيش.. رواية تحت النشر بدار الهلال
- 20- صعاليك الأنفوشى... هيئة الكتاب 2019
- 21- هذيان.. دار المعارف 2019
- 22- أمة لاتستحى .. تحت النشر
- 23- رحلة الصعود والهبوط.. دار الشروق 2019
- المجموعات القصصية (11 مجموعة قصصية):**
- 1-قبلة الملكة اتحاد الكتاب العرب بدمشق 1987
- 2-الموظفون اتحاد الكتاب العرب بدمشق 1991
- 3-الجائزة قايتباى للطباعة والنشر 1994
- 4-رجل مختلف الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995
- 5-الممنوع والمسموح مختارات فصول 2002
- 6--أقاصيص من السويد هيئة الكتاب 2005 وطبعة ثانية دار المعارف 2017
- 7- قانون الحب الكتاب الفضى 2006
- 8-هوى الخمسين نهضة مصر 2011
- 9- الكشف هيئة الكتاب 2013
- 10-رحيق الروح المجلس الأعلى للثقافة 2017

11- المعضلة الكبرى..مختارات قصصية تحت النشر